السنة الاولى　　العدد ٧　　١ نيسان سنة ١٨٩٨

المشرق

غريغوريوس ابي الفرج المعروف بابن العبري*

للاب لويس شيخو اليسوعي

١

بينا كنّا سائرين في غُدوة اليوم الرابع والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٨٩٦ مُيمّمين الموصل ونحن على وشك دخولها اذ لاح لنا في البعد على منعطف الجبال الممتدّة من عن يميننا وشرقيَّ البلد بناءٌ واسع الارجاء استلفت منّا الابصار واستحثّ الخواطر. فظننّا لاوّل وهلةٍ انّهُ قصرٌ قديم ابتناه بعض اهل الثروة ليقضي فيهِ فصل الصيف ترويحًا للنفس. وكان في صحبتنا فتىً من اهل تلك الاصقاع فسألنا بعضَ رفقتنا عن اسم البناية وقاطنيها. فاجابنا الرجلُ وهو يعقوبيُّ النِحلة: هذا ديرنا الشهير دير مار متّى(١ يسكنهُ رهباننا ونحن نعظّمهُ ايَّ تعظيم لأنَّ فيهِ قبر بعض علمائنا المسمَّى بابن العبريّ

---

* قد استخلصنا هذه المقالة من عدَّة كتب قديمة وحديثة نخصُّ منها بالذكر: اولًا تاريخ الكنيسة لابن العبري بالسريانية وهو ثلاثة اجزاء طبع في لوفان سنة ١٨٧٢ – ١٨٧٧ (ed. Lamy). ثانيًا تاريخهُ المدنيّ بالسريانية الموسوم (ܡܟܬܒܢܘܬ ܙܒܢܐ) طبع في ليبسيك (ed Bedjan). ثالثًا تاريخ الدول لهُ نشرهُ بالطبع في مطبعتنا الاب انطون صالحاني سنة ١٨٩٠. رابعًا المكتبة الشرقيَّة للسمعاني الجزء الثاني ص ٢٤٤. خامسًا الشرق المسيحي الجزء الثاني ص ١٤٥ (ed. Lequien). سادسًا مجموع ليتورجيات اليعاقبة والنساطرة طبع في باريس سنة ١٧١٦ الجزء الثاني ص ٤٦٩ (ed. Renaudot). سابعًا آداب اللغة السريانية طبع في لندن باللغة الانكليزية سنة ١٨٩٤ (ed. W. Wright). ثامنًا تاريخ الطبّ العربي الجزء الثاني ص١٤٧ طبع في باريس (ed. L. Leclerc). تاسعًا عدَّة افادات التقطناها في اثناء سفرنا الى بلاد ما بين النهرين سنة ١٨٩٦

١) قال ياقوت في معجم البلدان (الجزء الثاني ص ٦٩٤) دير متّى بشرقي الموصل على جبل

فما طرق مسامعنا هذا الكلام حتى ثارت فينا رغبةٌ شديدة الى زيارة هذا الدير الجليل وقد كنّا قرأنا في تواريخ كثير من القدماء ان اصلهُ يرتقي الى اوائل النصرانيَّة. وزادنا بغيةً في مشاهدته ذكر رجل طارت في الشرق سمعتهُ ولم تزل الالسن تنطق حتى الآن بمديحهِ. وكنَّا مذ عبرنا الفرات قرب البيرة (بيرهجك) لم يكد يمرُّ علينا يوم واحد دون ان نسمع لهذا الكاتب الجليل ذكرًا او نرى له اثرًا محمودًا ولكن حال دون مرامنا أنَّ الطرق المؤدّية الى الدير المذكور لم تكُ مأمونةً وكان يقطعها وتتشذر بعض اهل الدّعارة يعكّرون كأس الراحة والنظام العموميّ. فانثنينا عن عزمنا مع الأسف على فوات الفرصة

الّا انَّنا ما برحنا منذ ذلك اليوم نجمع ما امكنَّا من مآثر ذلك العلّامة الفاضل وتفاصيل حياته لعلّنا ننشرها يومًا بالطبع افادةً لجمهور الشرقيين وتحريضًا لارباب القلم كي يتأسوا بسنته ويجاورونهُ في اجتهادهِ وغيرته

وقد احببنا اليوم ان نورد لمةً من اعمال هذا الاسقف الخطير الذي يحقُّ للنصرانية ان تفتخر بذكرهِ لانهُ كساها بعلمه الواسع وآدابه مزيد هيبة ورونق. وتيسيرًا لبيان هذه الآثار رأيتُ ان اقسم هذه المقالة الى قسمين اذكر في اولها ترجمة هذا الجهبذ المقدام وفي الآخر ما خلف بعدهُ من التركة العلميَّة والتآليف الحسنة التي رفعت به الى اعلى مراتب الكتَّاب الكنسيين بل وجعلتهُ في مقام اثير بين ادباء عصره وحكماء زمانه

٢

لقد كفانا ابن العبري المؤونة للتنقيب عن اخباره بما اودعهُ في كتبهِ من تفاصيل سيرة حياته الّا انَّ هـذه الآثار متفرّقة في تآليفه العديدة يتحتّم علينا جمع شتاتها في هذه النبذة.

وُلد ابن العبري سنة ١٥٣٧ للاسكندر الموافقة لسنة ١٢٢٦ للميلاد في مَلَطية حاضرة ارمينية الصغرى على ضفّة الفرات. وكان يتولّى هذه المدينة وتتشذر عُمَّال من قبل

شاهق يقال لهُ جبل متَّى من اشترفهُ نظر الى رُستاق نينوى والمرج وهو حسن البناء واكثر بيوته منقورة في الصخر وفيهِ نحو مائة راهب. . . وبينَهُ وبين الموصل سبعة فراسخ (اه). وهذا الدير لا يزال حتَّى اليوم عامرًا بالرهبان وهو احد كراسي الاساقفة اليعقوبيين يُدعى ايضاً دير كُوكتا (ܟܘܟܬܐ) عند السريان. ويسمُّون الجبل دير إِلفِف (ܐܠܦܦ)

بني سلجوق ملوك الروم وهي تُعَدّ من اعظم قواعد تلك الاصقاع رغمًا عمَّا دهمها من نوائب الزمان لانّ غزوات جنكزخان وقومه تاتار المغول كانت قد طمست جانبًا من محاسنها. ولم تزل اذ ذاك حافلةً بالنصارى يأتونها من كل فجّ لما يجدون فيها من اسباب المعاش في صحبة بني جلدتهم. وكان قد اشتهر بملطية قبل ابن العبري بزمن يسير رجلان عُرفا بين اليعاقبة بفضلهما وسعة معارفهما اعني ديونيسيوس برصليبي المتوفَّى سنة ١١٧١ وميخائيل الملقَّب بالكبير المتوفَّى سنة ١١٩٦

وكان ابو صاحب الترجمة يُدعى أهرون. وليس في اسمهِ هذا ما يُشعر بكونهِ اسرائيليًّا مرتدًّا الى النصرانية او منتميًا الى أسرة يهوديّة كما زعم الكاتب رَيت (١ فان كثيرًا من نصارى اليعاقبة يدعون اولادهم بهذا الاسم الى يومنا هذا. ولعلّ في تسمية ولدهِ بابن العبري دليلًا على ذلك لكنّنا بعد البحث المدقّق عن هذه القضيَّة وجدنا في المؤرّخين ما ينقض هذا الرأي فضلًا عمَّا يؤيّدهُ. فانّ العلَّامة رينودوت ذكر في مجموع الليتورجيات (ص ٤٦٩) انّهُ وجد في نسخة خطيَّة من اعمال ابن العبري في باريس انهُ كان ابن اخي البطريرك ميخائيل الكبير السابق ذكرهُ وهو من اشهر كتَّاب اليعاقبة لم يكُ اهل ملَّتهِ ليرضوا بانتخابهِ بطريركًا وفقًا لقوانين الكنيسة الشرقيّة لو كان حديث العهد بالنصرانيَّة

وكان لاهرون اولاد كثيرون توفي اربعة منهم قبل ابن العبريّ وهم ميخائيل وموفَّق وقُوفو وساوير وكان طبيبًا. ولابن العبري فيهم مراثٍ ذُكرت في ديوان شعرهِ السرياني (٢ (ص ١١٨—١٢٨) . وعاش بعدهُ اخٌ لهُ خامس اسمهُ برصوما صافي الذي تمَّم تاريخهُ الكنسيّ بعدهُ

ودعي ابنُ العبري في المعموديّة باسم يوحنَّا يشهد بذلك التاريخ السرياني المحفور على ضريحهِ في دير مار متَّى (٣ واتَّخذ لهُ في الكهنوت اسم غريغوريوس. ولُقّب بابي الفرج تيمُّنًا بهذا الاسم وليس بولدٍ لهُ اسمهُ فَرَج كما ظنَّ برنستين في مقدّمة طبعتهِ لتاريخ الدول السرياني (ص ٣) والعلَّامة بوكوك في مقدمة تاريخ مختصر الدول (ص ١) ونحن نعلم علمًا اكيدًا انّ ابن العبري لم يرتبط قطّ بسُنَّة الزواج لانَّهُ ترهَّب وهو حديث السنّ كما

---

١) Syriac Literature, p. 265

٢) طبعهُ في رومية الاب اوغسطين الشابي ١٨٧٢

٣) راجع كتاب العلَّامة باذجر عن النساطرة (Nestorians, I, 97)

سيأتي. فضلًا عن انّ الاساقفة لم يُنتخبوا سوى بين الرهبان الملازمتهم نذر العفّة. وقد روى ذلك ابن العبريّ ذاتهُ في مجموع القوانين الكنسيَّة (الجزء الأول الفصل السابع القسم العاشر) (١

وقد وهم ايضًا بركوك بظنّهِ انّ أبا الفرج بن العبري هو ابو الفرج المدعوّ بابن الطيّب فخُدع بمشابهة الاسم مع انّ ابن الطيّب كان نسطوريًا وتوفي قبل ابن العبريّ بنيّف ومائتين سنة (١٠٤٣ م). واعجب من ذلك انهُ خلط بين هذين المذكورين وابي الفرج يعقوب المشهور بابن القفّ المتوفّى سنة ١٢٨٦ وكلُّ ذلك خطأ واضح

٣

ولمّا كان اهرون من وجهاء قومهِ يُحسن الدروس الطبّيّة (٢ ويتعاطى العلوم الفلسفيّة جعل يُلقّن ابنهُ يوحنا مبادئ المعارف البشريَّة وهو بعدُ حديث السنّ ليتشرَّب منذ نعومة اظفارهِ حبّ العلوم فيهيم بدراستها. وكان الولد ذا قريحة وقّادة تلوح عليهِ امارُ الفهم والذكاء. فما لبث ان احكم هذه الدروس الاوَّليَّة حتّى اضطرّ والدهُ الى ان يدفعهُ الى ابرع اساتذة بلدهِ. فاقبل الشابّ على حفظ اللُّغات الثلاث السريانيّة واليونانيّة والعربيّة وأحرز بزمن قليل دقائقها حتّى تضلّع بآدابها وجعل يكتب فيها جميعًا بسهولةٍ غريبة والحقّ يقال انّ تآليفهُ تنطق بلسان حالها عن براعتهِ من هذا القبيل فمن يقرأ كتبهُ بالعربية او السريانية يقضي لهُ بتمام معرفة اصول اللغتين. امّا اليونانية فاننا نعلم طول باعهِ فيها من تعريبهِ لكتب كثيرٍ من فلاسفتها الاقدمين كارسطو وغيره

ثمّ انكبّ على درس الفلسفة واللاهوت فلم يدع مطلبًا الّا بحث عنهُ ولا مشكلًا الّا حاول فكّهُ حتّى حاز بعد سنين قليلة قصبات السبق على معاصريهِ من الشرقيين وسنرى ما خلّفهُ بعدهُ من المآثر العلمية في هذين العلمين الساميَيْن. وزاد عليهما درس

---

١) ولا يخفى ان التكنّي بأبي فلان كان جاريًا في ذلك العصر يُراد بهِ مجرَّد اللَّقب ومثال ذلك كثير خصوصًا عند النصارى كابي البركات وابي الطيّب وابي الحلم. ولا تزال هذه العادة الى يومنا في بعض انحاء سوريَّة

٢) كان لاهرون اليد الطولى في فنّ الطبّ حتّى أنهُ كان يُعرف بالحكيم فدعي ابنهُ لذلك بابن حكيما

الطبّ مع فروعهِ المختلفة اخذ ذلك الفن عن ابيهِ الطبيب النطاسي وعن غيرهِ من العلماء.

وبينما كان ابو الفرج منكبًا على هذه الدروس مرتشفًا لسلافة العلوم الالهيَّة والبشريَّة اذ دوت في آذانهِ جَلَبَة جيوش •ولاغو ملك تاتار المغول سنة ١٢٤٢ وكانوا فتحوا بلاد الروم واخذوا عنوة سيواس وقيسارية فزحفت منهم فرقةٌ على ملطية يريدون نهبها وحرقها. وقد اخبر ابن العبري في تاريخ الدُول (ص ٤٤١) ما لحق باهل البلاد من الخوف والهلع عند قدومهم وكيف اراد ابوهُ اهرون ان يهرب مع حاشيتهِ فعدل عن ذلك واجتمع بالمطران ديونيسيوس والّف قلوب المسلمين والنصارى وكفَّ اهل الشرّ عن الفساد. قال: «فنظر الله الى حسن نيَّاتهم ودفع العدوّ عنهم ووصلوا بالقرب من ملطية ولم يتعرّضوا لها»

لكنّ المدينة لم تسلم من شرّ التاتار في السنة التالية (١٢٤٣) فشنُّوا الغارة عليها وخرّبوها وعاثوا في رساتيقها. وكان قائدهم يَسادِرنوين •صابًا بداء عرض لهُ فطلب طبيبًا يداويهِ فدلَّهُ الملطيون على اهرون ابي صاحب الترجمة فاستدعاهُ القائد واخذهُ في خدمتهِ الى خرتبرت فعالجهُ اهرون حتى برأ. قال ابن العبري (تاريخ الدول ص٤٤٦): «ثم جاء ولم يُطل المقام بملطية ورحل بنا الى انطاكية فسكنّاها»

وكانت وقتئذٍ انطاكية من أُمهات المُدن تُعتبر كاحدى قواعد المشرق وعواصم الثغور الشاميَّة موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير(١. وهي لم تزل بعدُ في يد الفرنج يتولّاها ملوكهم منذ سنة ١٠٩٨. وكان صاحبها يوم دخلها اهرونُ وابنهُ بوهيموند لخامس وهو يدعى امير انطاكية وطرابلس مَلَكها منذ سنة ١٢٣٣ الى نحو سنة ١٢٥١. وكانت انطاكية من احصن مدن الشام يحميها جبلها ونهرها العاصي وتحفّ بها عدَّة بروج. قال العيني في كتاب عِقد الجمان يصفها في ذلك العهد(٢: انَّ دَور سور انطاكية اثنا عشر ميلًا وعدد بروجها مائة وثلاثون برجًا يطوفها اربعة وعشرون الف شُرفة(اه). وكانت نصارى جميع الطوائف تتقاطرت اليها لحرازتها هربًا من غزوات التاتار وغارات ملوك خوارزم وطلبًا لاسباب المعاش فيرتعون بظلّها في بحبوحة الامن والسلام.

---

١) معجم البلدان لياقوت الجزء الاول ص ٣٨٣

٢) Hist. Orientaux des Croisades I, 1 p. 228

وكانت تجارتها واسعةً يقصدها تجار العراق وما بين النهرين والشام برًّا وترسو في ميناءِ فُرضتها السُّويديَّة المراكب ماثلةً اليها بضائع الغرب وأمتعتها الفاخرة. وكان عدد نفوسها ينيف على مائة الف بين فرنج وسوريين وروم وارمن ومسلمين ويهود. وكان في وسط البلد كنيسة كبيرة بُنيت في ايَّام يستنيان على اسم الرسولين بطرس وبولس تُعدّ من عجائب الدنيا وهي مقام بطريرك لاتيني يجلس فيها على كرسيّ من الرُّخام الابيض البديع الصُّنع كُتبت عليهِ آيات الانجيل بالحرف الكوفيّ وهو اليوم محفوظ في البندقيَّة

وكان بطاركة اليعاقبة اتخذوا لهم في انطاكية دارًا واسعةً بناها اغناطيوس الثاني سنة ١٢٣٧ بقربها كنيسة طائفتهِ الكاتدرائية على اسم الرسول الحبيب ولهم فيها ما عدا ذلك ثلاث بِيَع الواحدة مشيَّدة على ذكر السيّدة والثانية بيعة الشهيد جرجس والثالثة كنيسة برصوما وكان للارمن رئيس اساقفة يسكن انطاكية. امَّا بطريرك الروم الانطاكي فكان مقامهُ اوَّلًا في القسطنطينية يتردَّد من وقت الى آخر على رعيَّتهِ. ولهُ في انطاكية كنيسة كاتدرائية. ولمَّا كانت زلزلة سنة ١١٧٠ خربت الكنيسة وكان من جملة القتلى البطريرك نفسهُ (١. وفي سنة ١٢٤٠ خضع البطريرك داود للحبر الروماني فسكن انطاكية

٤

فما كاد يصل اهرون واهلهُ الى انطاكية ويستقرّ بها قرارهم حتَّى اخذ ابنهُ يتردَّد على علماء البلد ليجني منهم ما امكنهُ من الآداب والمعارف وعمرهُ اذ ذاك لم يتجاوز ثمانية عشرة سنة. وكانت علومهُ تزيدهُ زهدًا في الدنيا وملذَّاتها فاستأذن اباهُ بهجر العالم لينقطع الى النسك والانفراد. فخرج الى جبل بجوار انطاكية واختار لهُ هناك مغارةً تجرَّد فيها لاعمال التقوى والعبادة والشغل بالدرس. الَّا انَّ صيتهُ انتشر في تلك الاصقاع وعلم بسكناهُ البطريرك اغناطيوس فاحبَّ ان يزورهُ في منسكهِ وينشّطهُ في إتمام قصدهِ. وقد لمَّح ابن العبري الى هذه الزيارة في بعض قصائدهِ السريانيَّة

وبقي ابن العبري ملازمًا لطريقة النسَّاك سنةً فقط. ثمَّ خرج الى طرابلس الشام قاصدًا يعقوب احد مشاهير النساطرة الذي كان يدرّس فيها العلوم الادبيَّة والرياضيَّة والطبيَّة فتلمذ لهُ عاكفًا على تحصيل ما فاتهُ سابقًا من فوائدها وتعارف هناك باحد وجهاء ملَّتهِ

(١ Rey : *Colonies Franques en Syrie* 325-328 te 89

اليعقوبيّة اسمهُ صليبا وَجيه بن يعقوب من اهل الرُّها. وكان كلاهما مشغوفًا بعلوم الأوَّلين يتباريان في اقتباسها كفرسي رهانٍ ويجريان في عنانٍ فاشتغلا مدّةً على المعلم النسطوري المنوّه بذكرهِ حتّى برعا في آدابهِ وبرزا

فَسُرِّ البطريرك اغناطيوس سابا ما احرزهُ الطالبان من كنوز المعارف فاستقدمهما الى انطاكية ورقّاهما كليهما درجة الاسقفية في يوم عيد الصليب سنة ١٢٤٦ وعهد الى صليبا شؤون كنيسة اليعاقبة في عكّة الّا انّهُ لم يدخلها فنُقل الى كرسي حلب وتسمّى باسيل وسيأتي ذكرهُ آنفًا (١

امّا ابن العبري فوكل اليهِ البطريرك رعاية بني ملّتهِ في جُوباس وهي مدينة صغيرة من اعمال مَلَطية. ولم يكن اذ ذاك عمر ابي الفرج يتجاوز العشرين سنة وذلك بلا ريب من غرائب الامور يناقض سُنَن الاباء الذين لم يرضوا لهذه الدرجة ألّا كهولًا في تمام السنّ مزدانين بكلّ الفضائل والصفات الحسنة. ألّا انّ النساطرة واليعاقبة كثيرًا ما نبذوا هذه القوانين ظهريًا وتعدّوها. وعلى كلٍّ فانَّ ترقية ابن العبري تُبيّن ما كان ينيهِ رئيسهُ عليهِ من الآمال لخير شيعتهِ وهو في ريعان شبابهِ. وسنرى كيف حقّق الاسقف الجديد آمال بطريركهِ

(ستاتي البقية)

الفيلوكسيرة او دودة الكرم *

لجناب الشاب الاديب سليم افندي اصفر

ان بعض الجرائد المحليّة نشرت من زمن قريب بالاستناد الى بلاغٍ اذاعتهُ نظارة الزراعة الجليلة ظهور الفيلوكسيرة في كروم حيفا. وبما ان خبرًا كهذا مشؤومًا لم يؤثر في اهل البلاد شيئًا ولم ترد اهميّتهُ عندهم على نبإٍ اعتيادي وجب على العارفين بالداء المذكور

---

١) راجع التاريخ الكنسيّ لابن العبريّ الجزء الثاني ص ٦٦٧ — ٦٧٠ (ed. Lamy)

* راجعنا لكتابة هذه المقالة التآليف الآتية:

G. Foex *Cors de Viticulture* — Pierre Joigneux: *Le Livre de la Ferme* — E. Brocchi; *Traité de Zoologie Agricole*.

الوانين على احوالهم ان يُطلعوا مواطنيهم على عواقب الوبية ونتائجها الوخيمة فانهُ جائحة عظمى تتهدد الكروم بالخراب والدمار واذا لم يبادر اصحاب الاملاك فيقيموا دونهُ السدود والحواجز أُصيبوا منهُ بنكبة اشدّ من التي اصابتهم في اواسط هذا القرن لمّا ان شنّ داء التزميد (Oidium) غارتهُ على الدوالي. وما ذلك الّا لأن الوباء في هذه المرة لا يُبقي ولا يذر ولا تحول دونهُ الوسائل الخفيفة فينبغي الاحتياط للوقاية منهُ بالوسائط الفعّالة الناجعة. على أنهُ ما كان لِيَغير على الكروم بَغتةً فقد سبقهُ من الأمارات ما دلّ على قدومه المخيف حتى تعذّر على من لهُ ادنى إلمام بمسائله ان لا يتنبَّه لمجيئه. ولقد نشرتُ في جريدة البشير مذ خمس سنوات مقالة حذّرت بها أصحاب الكروم من غارته واتخاذ الاهبة لدفعه هذا مع تعرّضي لأن أرمى بكوني نذير سوء وشرّ

وقبل البحث عن اوفق الوسائل الكافلة بازالة الفيلوكسيرة سنبحث بادئ بدء في تاريخها وسرعة انتشارها في سائر الدنيا ومنهُ يُعلم بالتأكيد ان ما ابدينا من المخاوف واقع في محلهِ ونتبع ذلك بالكلام على نواميس تولّدها وحياتها واشكالها المختلفة

١ تاريخ المرض

ان ولاية نيويرك كلّفت عام ١٨٥٤ المستر أسا فِتْش بالبحث عن الهوامّ النافعة والضارّة للمزروعات فبينا هو يُجيل النظر في دوالي البلاد رأى عُددًا صغيرة ناتئة في الوجه السفلي من الاوراق ومنفتحة في الجزء العلوي بفوهة ضيّقة ذات زَغَب وكان في كل غدّة حشرة صغيرة ذات بَمّص منغمس في نسيج الورقة. وفي عام ١٨٥٦ وصف هذه الحشرة مسميًا اياها (Pemphigus Vitifoliæ). وبعد مضيّ زمن قليل أتى بذكرها ايضًا اثنان من علماء الحشرات كلاهما من الاميركان وهما ينيامين وُلْش وشارل رايلي وعدّاها في جملة الحشرات المضرّة. وفي عام ١٨٦٧ كشفها الدكتور هنري شِيْنر تحت شكل مجنّح وسمّاها (Dactylospera Vitifoliæ) (١)

. وفي اثناء ذلك ظهرت هذه الحشرة في اوربة ففي عام ١٨٦٣ سطت على بعض كروم بالقرب من لندن. وفي عام ١٨٦٧ الى ١٨٦٨ صالت على انكلترة وإرلندة صولةً عظيمة

١) J. E. Planchon: le *Phylloxéra en Europe et en Amérique* (Revue des Deux Mondes, 1er février 1874)

فانتشرت في اكثر ارجائها. ولم تسلم فرنسة ايضاً من شرها فظهرت فيها آثارها اوَّلًا عام ١٨٦٣ في مقاطعة الغار (Gard) وعام ١٨٦٦ في مقاطعة جيرُوند بالقرب من بوردو. وما مضت مدة يسيرة حتى كانت قد تكاثرت جدًّا بسرعة غريبة فاتلفت الكروم الواقعة ما بين البحر المتوسط والاوقيانوس

اما في سائر جهات اوربة فقد ظهرت هذه الحشرة عام ١٨٧٢ في البرتوغال وعام ١٨٧٩ في ايطالية. وكان الداء بإيطالية منحصرًا في بادئ الامر في مسافة ٢٤ هكتارًا فقط ولكن بعد مضيّ اثنتي عشرة سنة عمَّ من الكروم ما بلغت مساحتهُ ١٣٦،٢٤٢ هكتارًا. واما اوستريا هنغارية والروسية واليونان وسويسرة فما كانت لتنجو من فتكات هذه الآفة التي زحفت كذلك على جزائر الغرب واكثر ارجاء العالم الجديد

وكان هجومها على الممالك الشاهانية عام ١٨٨٥ فاخذت من هذا التاريخ تزيد تقدمًا وانتشارًا بنسبة ازدياد سرعة المواصلات في داخلية البلاد وحركة الموانئ في الثغور البحرية وهكذا عمَّت الأماكن الواقعة جنوبي الاستانة مع جزيرة ساموس والقرى التي حوالي غاليبولي وقسم من برّ الاناضول وهكذا اوجبت الحال على هذه النواحي ان تُمنى بتجديد كرومها الثالثة. وفي عام ١٨٩٥ عرفنا من الجرائد ان ازمير لم تقوَ على مغالبة هذه الآفة ففتحت ابوابها للعدوّ المنتصر

بيد ان علَّة المرض لم تكن لتستترَ منذ ظهورها في اوربة فان بعضهم قد عزَوْها الى فقر التربة واشاروا بتسميدها بسماد قوي وتوهَّم آخرون انَّ التأثيرات الجوّية ذات يد في تلف الدوالي وقال غيرهم غير ذلك. ولكن ما لبث المسيو بلانشون الافرنسي احد اساتذة مدرسة العلوم في مونبليه ان كشف علَّة هذا الداء المخيف الذي اجتاح كروم أوربة مُفقدًا فرنسة وحدها ايرادًا سنويًا يقدَّر بنحو مليار فرنك. وهو اوَّل من عيَّن طبيعة هذه الحشرة وسماها الفيلوكسرة المُتلِفة (Phylloxera Vastatrix) ووصف خصائصها ودرس اشكالها المختلفة وعرف كيفية تكاثرها وبنى على ذلك وسائط الوقاية منها

وأمَّا جزم الملأ كون من اشتداد المرض تألَّفت بناء على طلب جمعية الزرَّاع الافرنسيين لجنة التأمت عام ١٨٦٨ في مقاطعة فوكلوز وكان في جملة اعضائها بلانشون وليختنستين وهنري مارس وساهوت وغاستون بازيل وغازاليس وجميعهم من علماء الزراعة المشهورين. فانفذوا في الحال يفحصون الكروم المريضة وكانوا يجــدون أُصول الدوالي متعفّنة ولكن

دون أثر فطر او حشرة فيها بيد أن ضربة بمعول في جرثومة سليمة قريبة من الدوالي المريضة أدتهم الى ان اكتشفوا على أصولها غبرة ضاربة الى الصفرة ولم تكن تلك الغبرة سوى الوف الوف من الحشرات الصفراء التي كانت تراكبت كثيرًا حتى امكنت مشاهدتها بالعين المجرَّدة(١ . وهكذا وجدوا العدوّ الفتّاك وهو حشرة تكاد تكون غير مرئية كانت تختبئ تحت الارض وتتكاثر الوفًا وربوات وتسوق التلف الى أوفر الدوالي نموًّا وغضاضةً. ولم يكشف هذا العدوّ في الكروم اليابسة لانهُ لم يكن يجد فيها الشروط اللازمة لمعيشته فكان يهاجرها ذاهبًا في شقوق التربة الى حيث يجد قوتًا مُغذيًا ومتوفرًا

ولم يكن المسيو بلانشون قد راقب من الحشرة وتنشر سوى شكلها الارضي كما ان المستر أسا فتش في اميركة ما كان قد كشف سوى شكل واحد من اشكالها الهوائية عام ١٨٥٤ . غير انهُ بالمواظبة على الاهتمام ساقهُ التوفيق الى اكتشاف الشكل المجنَّح فاطلق عليه اسم فيلوكسيرة . والذي حدا به لتسميتها بهذا الاسم هو مشابهتها لفيلوكسيرة السنديان (Phylloxera Quercus) وهي حشرة تعيش على اوراق البلُّوط الابيض (المُلُّول) . ويُعرف وجودها هناك من الصفرة التي تعلو النقطة المقروضة

ولمَّا وُجدت الحشرة انصرف اهتمام العلماء الى ان يعرفوا أهي من نوع الحشرة الاميركية ام لا . فتركت النخوة المستر رايلي احد علماء الحشرات في اميركة فاتى اوربة للغاية المذكورة خاصَّةً وبعد ان فحص الحشرة المكتشفة في العالم القديم وقابل بين اشكالها الارضيَّة والهوائيَّة اثبت انها والاميركية من نوع واحد . وممَّا يؤيد قوله ظهور الفيلوكسيرة في الاماكن التي زُرعت دوالي اميركية . وكذا اذا لاحظنا نوعَي الفيلوكسيرة في فرنسة نرى ان الحشرة قد ظهرت في روكور (في مقاطعة الغار) وكانت قد اتَّصلت اليها من غراس اميركية جُلبت من تُونيل بالقرب من تارَسكونة حينًا كان المرض قد شوهد . وكذلك في مقاطعة جيروند قد ثبت ان غراسًا اميركيَّة كانت السبب في نقل المرض اليها . اما في سويسرة فان الفلوكسيرة ظهرت اولًا بالقرب من جنيف في ارض كان المسيو دي روتشلد قد غرس فيها دوالي اميركيَّة . ولو شئنا ان نسرد غير هذا من الادلَّة لأتينا بالكثير منها وكلهُ يُثبت ما تقدَّم بيانهُ

---

١) راجع كتاب المسيو بلانشون السابق ذكرهُ

٢ صفة الفيلوكسيرة

تختصّ الفيلوكسيرة برتبة الحشرات ذات الجناح النصفي المتساوي المدعوة (Hemiptères Homoptères) (١ وهي ذات اشكال مختلفة منها ارضية ومنها هوائية فالشكل الاول يُدعى (Aptères Agames) اي الخالي من الاجنحة واعضاء التوليد

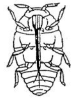
من شاء ان يرى هذه الحشرة لا يجب ان يطلبها في الدوالى اليابسة بين الآثار الصفراء التي تتركها عليها بعد انتقالها بل يجب ان يحفر بالقرب منها على جرثومة دالية لا تزال بائنة انها سليمة وحينئذٍ يشاهد على أصولها غبرة صفراء. فاذا أتى بآلة مكبّرة رآها مؤلفة من حشرات كثيرة ذات لون اصفر وهي صغيرة جدًّا لا يزيد طولها على $\frac{٣}{٤}$ المليمتر وعرضها على $\frac{١}{٢}$ ميليمتر. وجسمها مستدير من امام ورقيق من وراء ومنقسم الى اقسام ذات غُضون معترضة. فالاقسام الاولى الثلاثة فيها لجهة البطن ثلاثة ازواج من القوائم قصيرة ونحيفة. وفي رأسها عينان تحيط بهما ثلاث نقط حمراء وقرنان يتركّب كل منهما من ثلاثة مفاصل اثنان كثيفان وقصيران والثالث اطول قليلًا. وفي القسم السفلي من رأسها ممصّ تستخدمهُ لتناول غذائها وهو مركب من ثلاث وَبَرات موجودة ضمن غلاف خصوصي فتُدخِل قسمًا من خرطومها هذا في قشرة الاصول وتُبقيه فيها جاذبةً اليها ما تضمَّنهُ من مائية. وكل هذه الحشرات إناث لا اجنحة لها تتوالد بلا توسط الذكور. ومتى أنشبت ممصَّها في اصل الدالية القت حولها من ٢٥ الى ٣٠ بيضة كاذبة(٢ ومدَّدت جوفها الى كل ناحية والقت من هذه البيوض رُكَمًا عديدة صغيرة وبعد ذلك تموت فلا تمضي ثمانية أيام حتى ينفقئ البيض وتخرج منهُ كائنات مكروسكوبية شبيهة في كل شيءٍ بامّهاتها. وبما انها تكون في بدء ولادتها نشيطة وخفيفةً تنتشر على اصول الدوالي وبعد ثلاثة او اربعة ايام تختار لها مقامًا فتغرز فيهِ خراطيمها ولا تتحوّل عنهُ الى ان تمتصّ كلّ مائيتهِ. وكلما

---

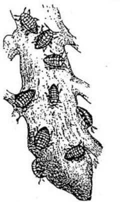
١) الحشرات ذات الجناح النصفي لها مِمَصّ واربعة أجنحة مع بعض اختلاف في هيآتها. فتارةً يكون الجناحان الاعليان مُلَبَّنَين وهذا الجنس هو الذي أُطلق عليهِ اسم الحشرات ذات النصف جناح (Hémiptères او Hétéroptères) وتارة يكونان على شكل جلدة رقيقة (Homo-ptères) امّا الجناحان الاسفلان فهما في كلا الجنسين على هيئة جلدة رقيقة

٢) البيضة الكاذبة ما وضعتهُ الاناث دون الذكور

امتصّت كبرت وضخمت وتصوم دون ان تنتقل من مواضعها ثلاث صومات بين الواحدة والاخرى اربعة او خمسة ايام. وبعد مضيّ عشرين يوماً لنقفها تصير حشرات كاملة فتشرع تبيض وهكذا تتجدّد الامور المتقدم ذكرها مدة طويلة من السنة اي من ١٥ نيسان الى اول تشرين الثاني في النواحي الجنوبية



صورة مِمصّ وقوائم وبطن الفيلوكسيرة



صورة حشرات الفيلوكسيرة لمّا تمتصّ أصول الكرمة (مكبَّرة بالمجهر)

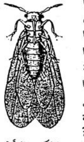
ومما مرّ يُعلم ان تكاثر هذه الحشرات سريع للغاية حتى انهُ تُقدَّر مواليد الفيلوكسيرة الواحدة في السنة بخمسة وعشرين او ثلاثين مليوناً. قال المسيو بارال(١): ان المئة بيضة من الفيلوكسيرة تستطيع في السنة ان تغطي مساحة هكتار من الارض اذا وُضعت طرفاً الى طرف وجنباً الى جنب ولُزّت لزّاً بعضها الى بعض

وفي شهر تشرين الثاني تموت الحشرات المتقدم ذكرها او بالحري الأُمّات البائضة. اما الناقفة منها حديثاً فانها تصرف الشتاء متعلقة باصول الدوالي وهي بحالة تخبّل تامّ وتتخذ

(١) Barral : *Conférences sur le Philloxéra*, Paris, 1882

اذ ذاك لوناً اسمر ويظهر عليها الضعف والهزال. اما في شهر نيسان فتستيقظ من غشوتها وتواصل سلسلة التوليد على ما تقدم شرحهُ. وقد أكد بعضهم ان هذا التكاثر يستمر لها متواصلاً اربع سنوات على الاقل

الشكل الثاني يدعى ذرًّا (Nymphes). يُلاحظ في مدة الصيف من تموز الى ايلول ان بعض الحشرات الناقفة حديثاً والمتولدة عن ذات الجناح لا تصير أُمَّات بائضة بل تصوم صومتين بزيادة ثم تتحوَّل الى شكل الذرّ. وهي تفترق عن البائضة بان هيأتها العمومية ارقّ وقرونها أطول وفي وسط جسمها غلافان للاجنحة بشكل زائدتين مائلتين الى السواد. ومن صفاتها النشاط والقوَّة ولا يمضي على نقفها خمسة عشر يوماً حتى تخرج من شقوق الارض ثم تصوم صومة واحدة وتتحوَّل الى حشرة ذات جناح



الفيلوكسيرة المجنَّحة

الشكل المجنَّح — ان الفيلوكسيرة المجنَّحة هي ايضاً اناث ولكنها غير كاملة بل لا يمكنها ان تصل الى درجة الكمال. وتتوالد دون توسط الذكور وجسمها اكبر من جسم الاناث الخالية من الجناح يبلغ طولها ميليمترًا ونصفاً. واجنحتها اربعة وهي غشائيَّة شفَّافة والجناحان العلويَّان عريضان في اطرافهما استدارة. اما السفليان فأضيق واقصر وفي فمها ممصّ اقصر من ممص الحشرة غير ذات الجناح وجسمها ضارب الى الصفرة وتطير الى كل ناحية وصوب تارةً الى مسافة قصيرة وتارةً الى مسافة طويلة تبعاً لقوَّة الريح. ومتى وقعت على كرمة تلقي — كما قال بالبياني — على خمل الورق الغضّ وقشور الدوالي وجذورها ثلاث او ستّ بيضات كاذبة بعضها كبير يبلغ طولهُ ٤٠ في المائة من المليمتر في عرض ٢٠ في المائة منهُ وبعضها اصغر طولهُ ٢٠ في المائة من الميليمتر في عرض ١٣ في المائة منهُ. وتكون هذه البيوض مائلة الى الصفرة في بادئ الامر ثم انها لا تلبث ان تصير صفراء بالتمام وعنها يتولَّد شكل جديد يدعى الشكل المُتوالد (Sexués)

الشكل المتوالد — فمن البيوض المذكورة تخرج ذكور اذا كانت صغيرة واناث اذا كانت كبيرة ولا يكون لهذه الذكور والاناث من ممصّات فانها لا تأكل واعضاء الهضم

فيها ضئيلة وبعكس ذلك جهازها التوليدي فهو كبير ممتدّ. ويبلغ طولها ٣٨ في المائة من المليمتر وعرضها ١٥ في المائة منهُ ولونها أصفر فاتح. ولا تكاد تولد حتى تتزاوج ثم تموت الذكور بينما الاناث تبيض بيضةً وحيدة وتلقيها تحت قشور الزراجين القديمة بقرب الفروع الحديثة وتسمَّى هذه البيضة بيضة الشتاء وتنفقس في الربيع عن حشرات خالية من الجناح بعضها يبحث في الحال عن اصول الدوالي فيتعلَّق بها والبعض الآخر ينساب تحت الورق فيُحدث فيه غُددًا صغيرة. ومما مرَّ يتضح ان الحشرات البُيوض يمكن أن تتولَّد إمَّا عن بيضة حقيقية خارجة عن لقاح وامَّا عن بيضة كاذبة خارجة عن إناث غير مُلقَّحة

ثم ان الفيلوكسيرة ذات الجناح وكذلك الفيلوكسيرة الخالية من المماصّ والاجنحة ذكورًا كانت او اناثًا تتوارى كلها في فصل الشتاء. اما الفيلوكسيرة الارضية فلا يُقاوي صبارّةَ البرد منها سوى الشوابّ النشيطة

هذا وان الفيلوكسيرة المجنحة هي اعظم وسيلة لسريان المرض وانتشاره. وبما انها تنتقل مع الريح كما سلف البيان فكثيرًا ما يحدث في بعض الاحوال ان تحمل العدوى الى كروم بعيدة جدًّا عن النقطة المصابة. وتوجد طريقة اخرى لانتشار المرض شديدة الخطر ايضًا وهي سريانهُ بطيئًا من قريب الى قريب تحت الارض ما بين شقوق التربة

٣ أتلاف الفيلوكسيرة

انهُ في بادئ الامر أي في السنتين الاوليين لغارة الفيلوكسيرة لا يُدرى بوجودها ولكن بعد ذلك بقليل يأخذ الدواليّ الاسترخاء وتضعف أغصان الجراثيم التي هي اشدّ من سواها اصابةً وتصفرّ الاوراق وتتناثر قبل الاوان ولا يبلغ العنب تمام النضج ويشاهد على الجراثيم تضخُّم وتعقّد يُتعبان الكرمة ولا يلبث هذا التضخم ان يسوق التلف الى العروق الصغيرة فتتهرَّى واما الجراثيم الكبيرة فتسودّ وتصير اسفنجية الشكل سهلة التفتُّت وهكذا تتلف الدالية من الضعف والضنى

ومما تحسن الاشارة اليهِ في هذا المقام الفرق الكائن بين عادة هذه الحشرة في اميركة وعادتها في سائر انحاء الدنيا فانها في العالم الجديد تتولَّد خاصةً في غُدَدٍ على اوراق الدوالي بينما انها في كل محل آخر (في اوربة والشرق وغيرهما) لا تنتشر بالتقريب الَّا على الجراثيم. وسنبين في عددٍ آخر معالجة الفيلوكسيرة ان شاء الله (ستأتي البقية)

الزلازل في سورية

بيان نواميسها وسيرها

للاب هنري لامنس اليسوعي

انَّ بلادنا هذه مع ما خُصَّت بهِ من المحاسن والصفات كثيرًا ما ابتلاها الله بداهية دهياء تنغّص عيش سكّانها ألا وهي الزلازل التي من حين الى آخر تزعزع الارض الى اعماقها وتخلف بعد اجتيازها آثار العيث والخراب. فاذا ما قرأنا في كتب المؤرّخين وصف بعض هذه الزلازل ارتعدت منّا الفرائص وارتعبت القلوب واقشعرّت الابدان ووددنا لو نعرف لهذا الداء دواء او على الاقلّ لو نقف على نواميس الزلازل وخطّة سيرها تلافيًا لبعض مضارّها

هذا ونأسف على انَّ اكثر المؤرخين في اوصافهم المسهبة لم يُراعوا ما يقتضيهِ العلم من التحقيق والبحث المدقّق فاستغنوا عن ذلك بتفصيل ما يقع من الامور الغريبة في ابّان حدوث الزلازل. ولكن رغمًا عن تقصيرهم من هذا القبيل يسعنا ان نستند الى رواياتهم ونستخلص ممّا احصوهُ من الزلازل العديدة (ولا ريب انهم ضربوا الصفح عن كثير منها) بعضَ نتائج ونواميس عامّة تفيدنا بالخصوص ما هي الخُطّة الّتي تتّبعها هذه الزلازل في سيرها واي مدن الشام هي عرضة لتكّباتها. وقد آثرنا في اختيار موادّنا نَقل ما رواهُ الكَتَبة الشرقيّون على غيرهم وهم ادرى ممّا سواهم باخبار بلادهم

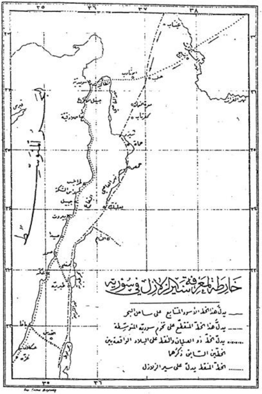
١

انَّ قسم الثغور الشاميّة التي تصيبهُ الزلازل يمكن تعيينهُ بخطَّين يتوازيان مدّةً ثمَّ يجتمعان عند حلب على شكل زاوية محدَّدة. فيبدأ الخطّ الاوَّل عند مجرى دجلة السفلي بقرب ديار بكر ثم يمرُّ بالرها (اورفة) (١ ومَنبج وحلب وانطاكية فاذا وصل اليها مال توًّا الى الجنوب فمرَّ بساحل البحر وانتهى الى عسقلان وغزَّة

والى هذا الخطّ المذكور مرجع ما رواهُ اصحاب الآثار عن عدَّة زلازل حدثت في الشرق الادنى وفي البلاد المجاورة لبحر المتوسط في السنين الآتية للمسيح: ٣٦٠,١٣١

---

١) راجع تواريخ الصليبيين (Hist. Orient. des Croisades I, 295 ; III, 551, 607) – وتاريخ تاوفان (Théophane 860)


خارطة لمعرفة سير الزلازل في سورية
يدل هذا الخط الأسود المتابع على ساحل البحر
يدل هذا الخط المتقطع على تخوم سورية المتوسطة
يدل الخط ذو العليان والنقط على البلاد الواقعة بين الخطين السابق ذكرها
الخط المنقط يدل على سير الزلازل

٣٣٣, ٣٤٠, ٣٨٧, ٤٥٨, ٤٩٤, ٥٢٦, ٥٤٣, ٥٦٠, ٥٨٠, ٥٨٩, ٧١٣, ٧٧٥, ٨٥٣,
٨٥٩, ١٠١٦, ١٠٣٣, ١٠٦٣, ١٠٦٩, ١١٠٩, ١١٢٩, ١١٥٥, ١٢٠٤, ١٢١٢, ١٣٣٩,
١٤٠٢, ١٥٤٦, ١٦٥٦, ١٧٨٣, ١٧٩٦, ١٨٢٢, ١٨٥٩, ١٨٧٢, ١٨٧٣

وربَّما ظهرت علامات الزلازل في مياه البحر فقد اخبر سترابون الجغرافيّ في اثناء ما ذكرهُ عن المعركة التي جرت في سنة ١٤٣ قبل المسيح بين اهل عكّة والقائد سَرپيدون انهُ لمّا انتهى الامر وركن جنود سرپيدون الى الفرار جاشت مياهُ البحر بين عكّة وصور وتصاعدت كما يحدث عند المدّ واغرقت من فرَّ هاربًا. ولمّا جَزَرَ البحرُ وُجدت جثثهم على سِيف البحر مختلطةً بالاسماك الميتة. وذلك دليلٌ على انَّ ساحل فينيقية طرأت عليهِ في تلك السنة طوارئ غريبة مُجحفة. ولا شكَّ ان هذا الحادث جرى في سواحلنا غير مرَّة قبل ذلك العهد كما تكرَّر بعدهُ عدَّة دَفَعات

ولم يَفُت كَتَبة الاسفار الالهيَّة ذكر الزلازل بيد انَّ التوراة اشارت اليها وألمعت فقط إلماعًا. ولا نعلم ما كان من الأثر للزلزلة التي وقعت في ساعة موت المسيح (متَّى ٢٧: ٥١) وهل احسَّ بها اهل فينيقية

ومن اشهر الزلازل التي ورد ذكرها في التاريخ وطنّت لها مسامع الاجيال هزَّةُ الارض في ايام يوستينيان الاول في سنة ٥٤٣ وآثارها المرهبة الباقية حتَّى يومنا هذا تنبئنا عن ضرباتها الوبيلة حتى انَّها غيَّرت في بعض الاماكن هيئة الساحل. وذكر المؤرخ تاوفان في حوادث السنة الآنف ذكرها انَّ رأس شكّة الذي موقعهُ بين البترون وطرابلس زُجَّ في البحر وصار في مكانهِ خَوْرٌ واسع ولم تعد الطريق المارَّة في شمالي هذا الرأس مسلوكةً وصار الساحل على هيئة صخور منتصبة عموديًّا تعلو سطح البحر

ولا غرو انَّ حادثًا شبيهًا بالسابق أثَّر في صورة شواطئ فينيقية جماء فانخسفت الارض في عدَّة امكنة وساخت خصوصًا في قيساريَّة وصور وصيداء وبيروت وجبيل والبترون. ولعلَّ ذلك هو السبب الذي يحول دون العلماء فيصدُّهم عن تعيين مدقّق لموقع صور وصيداء قديمًا. وقد نالها من صدمات الزلازل ما لم ينلهُ غيرها. وفي كلّ هذه المدن ترى عند ركود البحر مآثر جليلة وبنايا عظيمة قد غطَّتها المياه منذ قرون عديدة. ولك ان تشاهد عند مصبّ نهر الكلب آثار مقالع قديمة يتغيرها اليوم مياه البحر

وكانت بدأة الاهتزاز في سنة ٥٤٣ كما في غالب الاوقات من بلاد بين النهرين ووجهتهُ حلبُ وانطاكية متنقلًا منها الى ساحل فينيقية حيثُ خربت من جرّائهِ جُبيل وبيروت وصيداء وصور

وكانت اذا ذاك الدائرة على بيروت اكثر منها على بقيّة المدن. فبقيت اجيالًا طويلة يسود عليها الخراب الّا انها نهضت من حالتها هذه وعادت الى ما كانت عليهِ من العمران بينما لا تزال بعدُ قرينا تُها في الذلّ والخمول. وقد زارها انطونين المعروف بالشهيد بضعة سنين عقيب هذا المصاب العظيم فلم يجد فيها غير آثار الخراب والدمار وسمع من فم اسقف بيروت ما نزل بهذه المدينة من النوازل بعد ان كانت «من حواضر البلاد زاهية بالعلوم والآداب» (راجع تاريخ رحلتهِ ص ٣٠١)

وفي سنة ٨٥٣ حلّت بالسواحل الشاميَّة قوارع أُخرى. قال ابو الفرج في تاريخ الدول (ص ٢٤٨): «وفي هذه السنة كانت زلازل هائلة... بالشام وفارس وخراسان وباليمن مع خسف. وتقطَّع الجبل الاقرع وسقط في البحر فمات اهل اللاذقيّة من تلك الهدّة»

وقد اكتفى ابو الفداء بقولهِ عن زلزلة سنة ١٢٠٢ (٦٠٠ هـ). «انها عمّت مصر والشام والجزيرة... وخربت مدينة صور». وذكر قبلهُ ابن الاثير في تاريخ زلزلة سنة ١٠١٦ (٤٠٧ هـ) انهُ وقعت القبَّة الكبيرة على الصخرة بالبيت المقدس. وروى في تاريخ سنة ١٠٣٣ (٤٢٣ هـ) انّ زلزلة اخرى حلّت في بيت المقدس وخربت ثلثًا من مدينة الرملة بين اورشليم والقدس وقتلت جمًّا غفيرًا (١

ومع كثرة ما حدث من الزلازل في هذا الخطّ الاوّل لم يروِ المؤرّخون عن بوائقها الّا شيئًا نزرًا

٢

وليس الامر كذلك بخصوص الخطّ الثاني الذي يسوغ بان ندعوهُ خطّ سوريّة الشرقي ومبدأ هذا الخطّ في شمال سوريّة عند عَينتاب منحدرًا انحدارًا مستقيمًا نحو الجنوب ويقطع عند حلب الخطّ الاوّل ثم يجتاز في قلب الثغور الشاميّة سائرًا في وسط وادي العاصي ووهاد بلاد البقاع الى غور الاردن. ومن كان لهُ ادنى إلمام بعلم الجيولوجية

١) وجاء ذكر هذه الزلزلة في كتابة على جامع المدينة لكنَّهُ قيل فيها انَّهُ لم يقتل احد

يلاحظ في طول هذا المسير آثارًا بركانيّة قديمة كالمواد التي تقذفها النيران من قلب الارض والحجارة الناريّة وخَبَث المعادن وينابيع المياه الحارّة الكبريتيّة. واكثر ما يُرى ذلك في وادي الاردنّ وغور بحر لوط حيث التقاليد القديمة تشهد بصوت واحد مع اخبار الكتاب الكريم انّ ثمّة حدثت في سالف الازمنة انقلابات هائلة بعثرت اركان الارض وطمست محاسنها. نعم انّ فوّهات البراكين قد خمدت الآن ولم تقذف منذ امد طويل بموادّها الملتهبة لكنّ الزلازل لا تزال حتّى اليوم تنطق بلسان حالها عمّا يتضمّنهُ بطن الارض من النيران المتأجّجة

وفي هذا الخطّ الثاني حلّت زلازل كثيرة نخصّ منها بالذكر التي وقعت في السنين الآتية : ٧٣٨ , ٧٤٦, ٩٩٢, ١١١٤, ١١٣٨, ١١٥٧, ١١٧٠, ١٣٠٢ , ١٣٠٧, ١٦٥٩, ١٦٦٦, ١٧٥٩, ١٨٣٧, ١٨٥٤

واوّل زلزال وقفنا على وصفهِ في قدماء المؤرخين حدث في سنة ٧٣٨. قال تاوفان المؤرخ (ص ٨٥٢) : انّ حلولهُ كان في وادي الاردنّ وفي البرّيّة الواقعة بين القدس وبحر لوط فدُمّرت لذلك اكثر اديرة تلك الانحاء.

وفي سنة ١١١٤ حلّت هذه النكبة النكباء في شمالي سوريّة فاصابت مرعش وعَزاز وما جاورها من البلدان واستثنت بخلاف العادة مدينتَيْ حلب وانطاكية (١

وكان لزلزلة سنة ١١٧٠ (٥٦٧ هـ) وقعٌ سيّئ في انحاء المشرق. قال ابن الاثير في تاريخ هذه السنة : لم يرَ الناس مثلها وعمّت اكثر البلاد من الشام والجزيرة والموصل والعراق وغيرها من البلاد واشدّها كان بالشام فخرب كثيرٌ من دمشق وبعلبكّ وحمص وحماة وشيزر وبارين(٢ وحلب وغيرها وتهدّمت اسوارها وقلاعها وسقطت الدور على اهلها وهلك منهم ما يخرج عن الحدّ والاحصاء وخأرها من اهلها. . . فاتى السلطان نور الدين مدينة حلب فرأى فيها من آثار الزلزلة ما ليس بغيرها من البلاد فانها كانت قد اتت عليها وبلغ الرعب ممّن نجا كلّ مبلغ فكانوا لا يقدرون يأوون الى مساكنهم خوفًا من الزلزلة (اه) (٣

(ستأتي البقية)

---

١) راجع مجموع مؤرخي الصليبين الشرقيّين الجزء الاول ص ٢٩٥ والجزء الثالث ص ٥٥١ و٦٠٧ ٢) ويُروى «بَعْرين» والصواب كما روينا. قال ياقوت في معجم البلدان : والعامّة تلفظ بَعْرين ٣) راجع ايضًا ما رواهُ ابو الفداء في تاريخ السنة ذاتها

سلسلة بطاركة الطائفة المارونية

للبطريرك اسطفان الدويهي

عُني بنشرها المعلم رشيد الخوري الشرتوني

(تابع لما سبق)

وعلى موجب ما وجدنا حرَّرنا اسماء الذين يأتون بعدُ من غير تحرير السنين التي ارتأسوا بها

امَّا الذين جلسوا بعد هؤلاء على كرسي انطاكية في جبل لبنان حتى نجيء الأفرنج الى بلاد الشام فما ظفرنا باسم احد منهم لانَّهُ بسبب طول المدى تلفت الكتب من الحروب والثلوج والحريق وتشتُّت الناس ورحيلهم من بلاد الى بلاد٠٠٠ ولكن وقع بيدنا كتاب كبير قديم جدًّا يتضمَّن الرتب لخدمة القدَّاس الطاهر وهو لابن عمنا الشدياق اطون أخي المطران بولس ذي الذكر الصالح وفي قرب أواخر الكتاب مكتوبة فيه الخدمة التي يقرأها الشمَّاس لكل يوم وفي التذكارات وهي التوبدانيات التي يقرأها الشمَّاس بعد الصوت الوسطاني منها عندما يذكر البطاركة الذين ساسوا خراف المسيح في ولاية الكرسي الانطاكي هكذا يقول:

ܬܘܒ ܕܝܢ ܡܥܗܕܝܢܢ ܠܟܠܗܘܢ ܪ̈ܥܘܬܐ ܟܐܢ̈ܐ ܘܐܒܗ̈ܐ ܩܕܝܫ̈ܐ ܕܩܡܘ ܡܢ ܒܬܪ ܦܛܪܘܣ
ܪܝܫܐ ܕܫ̈ܠܝܚܐ ܘܩܕܡܝܐ ܕܟܠܗܘܢ ܪ̈ܥܘܬܐ ܠܐܝܓܢܛܝܘܣ ܬܠܡܝܕܗ ܘܬܐܘܦܝܠܘܣ ܘܓܪܝܓܘܪܝܘܣ
ܘܕܘܡܢܝܛܘܣ ܘܐܝܣܚܩ ܘܝܘܚܢܢ ܕܫܡܫܘ ܕܪܓܐ ܕܪܝܫ ܟܗܢܘܬܐ ܒܥܕܬܐ ܩܕܝܫܬܐ ܩܬܘܠܝܩܝ ܘܫܠܝܚܝܬܐ
ܒܟܘܪܣܝܐ ܕܡܕܝܢܬܐ ܕܐܠܗܐ ܐܢܛܝܘܟܝܐ ܩܕܝܫܬܐ ܘܪܒܬܐ ܕܢܬܪܚܡ ܥܠܝܢ
ܐܠܗܐ ܕܒܨܠܘ̈ܬܗܘܢ ܩܕܝ̈ܫܬܐ ܡܪܝ ܐܪܚܡ ܥܠܝܢ[1]

وفي التذكار الذي يليه وهو اطول من الاول مكتوب هكذا:

ܠܬܐܘܦܢܐ ܦܛܪܝܪܟܐ ܠܐܣܛܦܢܘܣ ܦܛܪܝܪܟܐ ܠܐܘܣܛܐܬܝܘܣ ܢܨܚܢܐ ܘܩܕܝܫܐ
ܠܐܘܣܛܐܬܝܘܣ ܢܨܚܢܐ ܘܡܫܝܚܐ ܠܐܘܣܒܝܘܣ ܢܨܚܢܐ ܡܫܝܚܐ ܠܐܘܪܒܐ ܢܨܚܢܐ ܡܫܝܚܐ
ܘܕܘܡܢܐ ܚܕ ܘܩܒܠ ܐܠܗܐ ܕܗܠܝܢ ܢܨܚܢܐ ܕܚܒܪ ܕܒܨܠܘ̈ܬܗܘܢ ܡܪܝ ܘܐܠܗܢ ܐܪܚܡ ܥܠܝܢ

ومنهُ يفهم انهُ بعد تاوافان الذي كتبهُ الناسخ تاوفيلي ترأس على كرسي انطاكية هؤلاء الآباء اي غريغوريوس واسطفانوس ومرقس واوسابيوس (هنا زاد السمعاني: المدعو حوشب)

---

[1] وهذه ترجمتهُ: ثمَّ نذكر ايضاً كلَّ الرُّعاة الابرار والاباء القديسين الذين (ترأسوا) من (بعد) بطرس هامة الرُّسل واوَّل كلّ الرُّعاة: اغناطيوس تلميذهُ وثاوفيل وشوع وداود وغريغوريوس ودوميطوس واسحق ويوحنَّا الذين خدموا مقام رئاسة الكهنوت بالكنيسة المقدَّسة الكاثوليكية والرسوليَّة في كرسيّ مدينة الله انطاكية المقدَّس والمعظَّم لكي يرحمنا الله بصلواتهم المقدَّسة

ويوحنا ويشوع وداود (١ وغريغوريوس وثاوفيلقطوس (وزاد السمعاني : وهو جيب) ويشوع ودوميطوس واسحق ويوحنا وسمعان

وبعد هؤلاء الاربعة عشر يذكر ايضاً اربعة آخرين وهم ارميا ويوحنا وشمعون وشمعون وهؤلاء الاربعة المذكورون في الآخر هم بلا شك موارنة وقد تولوا الكرسي الانطاكي بعد مجيء الافرنج الى بلاد الشام لان اخبارهم والسجلات البابوية المرسلة اليهم هي الآن مدونة عندنا

واما الاربعة عشر السابق ذكرهم فقد ارتبنا في مسألتهم لسببين الاول ان الرتبة التي عند اليعاقبة تشابه رتبتنا والثاني أن جماعتنا لا يسمّون اولادهم باسم يسوع لاجل احترام الذي خاصنا وحدهُ بدمهِ الكريم. فازالةً لهذا الشكّ اجتهدنا في استجلاب سلسلة البطاركة التي تخص اليعاقبة من كنائسهم في حلب والشام فما وجدنا لهؤلاء الاربعة عشر ذكرًا عندهم فجزمنا انهم بطاركة الملّة المارونية وان لفظة يشوع المحررة باللغة السريانية ما هي الّا ترجمة عيسى لان كثيرين من جماعتنا يتلقّبون باسم عيسى وايضا باسم يشوع

ولّما قدمت جيوش الافرنج الى هذه البلدان وجاؤوا في انطاكية وبيت المقدس اقاموا لهم سنة ١١٠٠ كما تخبر التواريخ بطركًا وملكًا على بيت المقدس وارسلوا البشائر الى بابا رومية وملوك النصارى

ويذكر ابن القلاعي في الرسالة التي انفذها الى البطريرك شمعون الحدثي سنة ١٤٥٤ ان البطرك يوسف الجرجسي كان قاطنًا في قرية يانوح وان قصّاده وصلوا الى رومية مع قصاد الملك جوفرادو وانهُ قبل التاج والعصا من صاحب الكرسي الروماني مع التثبيت(٢

١) قد سقط في الاصل السرياني والعربي اسم « يشوع وداود » غير اني اثبتّهما اولًا طبقًا لما ورد في المجمع اللبناني الذي أخذ آباؤهُ هذه السلسلة بلا شك عن نسخة صحيحة للدويهي وثانيًا لان الدويهي يعدّهم بعيد هذا اربعة عشر وعليهِ لم يكن بدٌّ من القول بان الاسمين المذكورين سقطا سهوًا من الناسخ

٢) شهد المؤلف نفسه في مواضع عديدة من تآليفه ان جواب البابا اوربانوس الثاني الى البطريرك يوسف الجرجسي كان في ايامه محفوظًا في دير سيدة قنوبين كما كان محفوظًا ايضاً جواب البابا زخيا الثالث الى ارميا العمشيتي (Appendix Bullarii S. Congr. de Prop. Fide. I, 1) واوجانوس الرابع الى يوحنا الجاجي وقالسطوس الثالث الى يعقوب الحدثي ولاون العاشر الى شمعون بن جبّان . . الخ

وسنة ١١٢١ كان الجالس على الكرسي البطرك بطرس وكان قاطنًا يومئذٍ في دير سيدة ميفوق كما تراهُ محرّرًا في كتاب البار يعقوب السروجي في آخر الميمر الثامن والستين للصلبوت على يد القس سمعان الذي نسخهُ بخط اسطرنجلي على هذه الصفة:

ܐܢܐ ܡܣܟܝܢܐ ܫܡܥܘܢ ܕܝܪܝܐ ܟܬܒܬ ܗܠܝܢ ܣܛܪ̈ܐ ܒܟܬܒܐ ܗܢܐ ܠܘܬ ܐܒܘܢ ܛܘܒܢܐ
ܦܛܪܝܪܟܐ ܡܪܝ ܦܛܪܘܣ ܡܪܘܢܝܐ ܕܥܡܪ ܒܕܝܪܐ ܕܡܪܬܝ ܡܪܝܡ ܒܡܝܦܘܩ
ܒܢܚܠܐ ܕܐܝܠܝܓ ܒܐܬܪܐ ܕܒܬܪܘܢ ܟܕ ܝܗܒ ܠܝ ܦܘܩܕܢܐ ܕܐܗܘܐ ܪܝܫܐ ܘܡܕܒܪܢܐ ܒܕܝܪܐ ܕܡܪܝ
ܝܘܚܢܢ ܕܟܘܙܒܢܕܘ ܒܓܙܪܬܐ ܕܩܘܦܪܘܣ ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܐܪܒܥܡܐ ܘܬܠܬܝܢ ܘܬܪܬܝܢ ܕܝܘܢܝ̈ܐ (١

وبعد هذا جلس غريغوريوس من حالات من عمل جبيل وهذا على موجب قول ابن القلاعي في رسالته الى البطرك شمعون سيّر اليهِ البابا زخيا الثاني الذي صُيّر سنة ١١٣٠ الكردينالَ غليلموس. ثم عقبهُ يعقوب من رامات من بلاد البترون على ما كتب بخط يده في كتاب مار يعقوب السروجي المُصَان عندنا في قُنُّوبين في نصف الميمر الخامس والستين لتقديس الميرون هكذا. «لمّا كان تاريخ سنة ١٤٥٢ لليونان في شهر تموز المبارك في عشرة ايام مضت منهُ حضر اليَّ أنا بطرس بطرك الموارنة الجالس على الكرسي الانطاكي باسم يعقوب من قرية رامات من عمل البترون الولد الراهب دانيال من رهبان دير مار كفتون وقد اعطيتهُ سلطانًا من الله ومن حقارتي بان يكون رئيسًا ومدبرًا على دير مار يوحنَّا الكوزبَنْد في جزيرة قبرس المحروسة»

وبعد البطريرك المذكور ملك الكرسي يوحنا المحفدي من بلد جبيل وهو رجل ذو مكارم وفصاحة كما هو واضح من النافور الذي باسمه (٢. وتخبر عنهُ التواريخ القديمة انهُ اتخذ سكناهُ في دير مار الياس بقرية لحفد وسام اربعة مطارنة لانجاده في سياسة الشعب فسكن احدهم في دير مار حوشب والثاني في دير مار سمعان والثالث في دير مار اليشع والرابع في دير السيدة من القرية المذكورة. وانهُ لمّا كان عيد العنصرة حضر اليهِ شعب كثير مع

وقال في كتابه تاريخ الازمنة ان الموارنة في الجبل اخذوا منذ سنة ١١١٢ يدقون نواقيس من نحاس على طريقة الكنيسة الرومانية. وقال ابن القلاعي انهم قبل ذلك ما كانوا يدقون للصلاة الا الاعواد مثل الروم

١) وهذه ترجمتهُ: انا الحقير شمعون الراهب اسمًا كتبت هذه الاسطر في هذا الكتاب عند ابينا الطوباوي بطريركنا مار بطرس المارونيّ الساكن في دير البارّة السيدة مريم في ميفوق في وادي ايليج في ارض البترون الى ان اعطاني امرًا بان اكون رئيسًا ومدبرًا في دير مار يوحنَّا الكوزبَنْد في جزيرة قبرس في سنة الف واربعمائة واثنتين وثلاثين لليونان (١١٢٠ م)

٢) وبدءُ نافوره ܐܠܗܐ ܩܕܝܫܐ ܒܟܠ اي ايها الاله القدوس في الكل

شمامسة وكهنة ورهبان ورؤساء كهنة فانتقل من ديره الى دير السيدة التي فوق هابيل وهو موضع معطاش فما زال يشرب من مياه البواليع حتى بنى فيه بئرًا وانشأ ديرًا جليلًا. وتذكر التواريخ القديمة والرسالة التي كتبها ابن القلاعي جبرائيل الى القس جرجس بن بشارة في الفصل الحادي عشر انَّ دير هابيل المذكور استمرَّ كرسيًا لبطاركة بني مارون الى حياة البطريرك ارميا الَّا اننا نحن ما اهتدينا الى معرفة البطاركة الذين اقاموا فيه حتى نثبت ههنا اسماءهم

واما البطريرك ارميا فانهُ جلس بعد هؤلاء سنة ١٢٠٩ وكان منشأهُ من قرية عَمْشيت التي في عمل بلاد جبيل وكان رجلًا بارًا ذا غيرة جزيلة فجعل مقامهُ في قرية يانوح ودخل الى رومية بنفسهِ وحضر المجمع الذي انعقد بلاتران في ايام البابا زخيا الثالث. وفي سنة ١٢١٥ رجع الى دير سيدة يانوح ومعهُ كتابة تتضمَّن العفو العام من قداسة البابا الى جماعته بما يخص الروح والجسد (١

وفي سنة ١٢٣٠ انتقل الى رحمة الله في دير سيدة ميفوق فعقبهُ البطريرك دانيال من شامات التابعة بلاد جبيل فسكن اولًا في كفيفان ثم في دير مار قوفريان ثم في كفرحي في دير مارون وكان ذلك سنة ١٥٤١ كما يذكر يوحنا بن يعقوب البشراوي. وقد ذكر في القنديط الذي حظينا بهِ في كنيسة مار سابا في قرية بشراي بخط يوحنا المذكور انهُ في سنة ١٥٤٧ لليونان كان قاطنًا في دير مار جرجس الكفر من عمل جبيل

وخلف هذا البطريركُ يوحنا على موجب سلسلة البطاركة التي ذكرناها بدءًا انهُ بين ارميا وشمعون توسَّط البطريرك يوحنا. واما شمعون فقد ذكرهُ الياس من معاد في خاتمة الحاش الذي نسخهُ بخط اسطرنجلي في سنة ١٢٤٥ قائلًا « انهُ كان النجاز منهُ في ايام

١) اثبت المؤلف تتمةُ نص هذه الرسالة في ص ٣٦١ من كتاب تاريخ الطائفة المارونية. وقد أمر في هذه الرسالة احبار الامة المارونية ان يلبسوا الثياب والحلل الموافقة ثياب وحلل اللاتين وان يجتهدوا في التقرب من الكنيسة الرومانية في كل شيء وقال في الصفحة ٣٧٣ ان قداسة البابا أمر بنقش صورة البطريرك ارميا في هيكل مار بطرس برومية وقد دامت الى زمانهِ اي زمان المؤلف ولما اعتراها التغير بتمادي الزمان أمر بتجديدها البابا زخيا الثالث عشر سنة ١٦٥٥ على ما كانت اولًا وكانت تلك الصورة ذكرًا لوقوف القربان بين يديهِ بمعجزة بينما كان يقيم القداس بحضرة البابا على هيكل القديس بطرس

ساداتنا البطرك شمعون صاحب الكرسي المدوح مدينة الله انطاكية. والمطران سمعان بجبل لبنان في سنة ١٥٥٦ لليونان»

وبعد ذلك بعشر سنوات ورده الى دير يانوح مكتوب من البابا اسكندر الرابع على شبه ذاك الذي أرسله البابا زخيا الثالث الى البطريك ارميا ونسخته منصانة عندنا الى يومنا هذا في دير قنوبين. وفي التقميط الصيني الذي وقع بيدنا في دير مار سابا بشراي محرر فيه انهُ في سنة ١٢٧٧ كان بعدُ حيًّا

وبعد هذا التحرير ما وجدنا لهُ خبرًا ولا علمنا بن خلفهُ الّا انهُ لما تجدَّد دير سيدة ميفوق سنة ١٢٧٧ هكذا حرّروا في الصخرعلى حائطهِ الغربي :

ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܚܡܫܡܐܐ ܘܬܡܢܝܢ ܘܬܡܢܐ ܕܝܘܢܝܐ ܫܠܡ ܝܥܩܘܒ ܗܢܐ ܗܝܟܠܐ
ܕܝܠܕܬ ܐܠܗܐ ܡܪܝܡ

اي انهُ في سنة الف وخمس مائة وثمان وثمانين لليونان تمم يعقوب هذا هيكل والدة الله مريم. فمن يكون هذا يعقوب الذي جدَّدهُ وتكنى بهِ لا نستطيع أن نقول الا انهُ كان بطريركاً لانهُ قبل هذا التجديد وبعدهُ كان هذا الدير مأوًى للبطاركة وقيل انهُ اندفن فيهِ سبعة بطاركة

ثم تولّى البطركية دانيال من قرية حدشيت التابعة بشراي. وفي سنة ١٢٨٠ جاءهُ مكتوب التثبيت من البابا نقولا الثالث مع الامر بان الميرون يصير من زيت الزيتون ومن دهن البلسم لاغير حسبما حرر القس حنا الراهب من قرية حجولا في نهاية انكتاب عن تقديس الميرون هكذا. «وكان النجاز منهُ في سنة ١٥٩٢ لليونان في أيام الاب المختار البطرك دانيال من قرية حدشيت» وصورتهُ الى الآن تبين في القرية المذكورة في كنيسة مار روماتوس (١

---

١) ان ايصاء الاحبار الاعظمين للموارنة بصنع الميرون من الزيت والبلسم فقط يرتقي الى البابا زخيا الثالث في رسالته التي انفذها الى البطريرك ارميا العمشيتي سنة ١٢١٥. وقد فعل مثلهُ ايضاً البابا نقولا الثالث الى البطريرك دانيال الحدشيتي ثم لاون العاشر في رسالته الى البطريرك شمعون عام ١٥١٥ ويظهر من رسالة البابا لاون ان البطريرك ارميا كان قد قبل بما أوصاهُ بهِ الكرسي الرسولي ولعلَّهُ تمكن من انفاذه في زمانه غير ان الموارنة رجعوا بعد ذلك الى عادتهم القديمة كما يتضح من رسالة البابا المشار اليهِ ومن الرسالة التي انفذها الى قداسته قبل ذاك بسنةٍ البطريرك شمعون وفيها يقول بايضاح ان تقديس الميرون ما زال جارياً على العادة القديمة. وكذلك يشهد البطريرك ميخائيل في المكتوب الذي أرسله سنة ١٥٧٨ الى غريغوريوس الثالث

وسنة ١٢٨٣ سار سيف الدين قلاون في عسكر الاسلام الى افتتاح جبّة بشرّاي فنكبها بالسيف واشتملت قلوب اهلها في الحرب والخسائر فتغلب لوقا من بنهران التي في ذيل الجبة على البطركية بعد دانيال. ثم قام بعدهُ شمعون على ما يذكر الشماس سابا بن سليمان ابن الخوري جرجس من قنات في تحرير الانجيل الذي في سنة ١٣٢٢ نسخهُ على رقّ بخط اسطرنجلي وهو الى الآن باقٍ في قرية عينطورين في دير مار ميخائيل شارياً قائلاً: « ان كان نجازه في ايام البطرك شمعون الجالس على كرسي انطاكية وبطرس مطران بشراي سنة ١٦٣٣ لليونان »: وكذلك القس يعقوب رئيس دير مورت مورا باهدن يذكر في آخر الانجيل الذي في كنيسة بجّة في بلاد جبيل انهُ كان الفراغ منهُ سنة ١٣٣٩ في ايام البطرك شمعون وبطرس مطران اهدن

وبعد البطرك شمعون جلس يوحنّا حسبما رأيناهُ محرراً في كتاب كنيسة مار سركيس حدشيت حيث يقال هكذا:

ܫܢܬ ܐܠܦ ܘܬܠܬܡܐܐ ܘܫܒܥ ܘܚܡܫܝܢ ܡܫܝܚܝܬܐ ܒܝܘܡܝ ܝܘܚܢܢ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܘܕܛܘܪܐ ܕܠܒܢܢ ܘܣܦܪ̈ܐ ܕܝܡܐ ܘܝܘܚܢܢ ܐܦܝܣܩܘܦܐ ܕܩܘܦܪܘܣ

اي كمل سنة الف وثلاثمائة وسبع وخمسين مسيحية في ايام يوحنّا بطريرك انطاكية وجبل لبنان والشطوط البحرية ويوحنّا اسقف قبرس (ستأتي البقية)

عشر انهُ قدّس الميرون بحسب عادة اهل البلاد. على ان تخلّف البطاركة عن العمل بموجب وصية الاحبار الاعظمين لم يكن منهم توانياً او مخالفة بل لما هناك من الصعوبة في وجود البلسم لتقديسهِ كلّ سنة واذا تسهّل وجوده فما كانوا ليوقدوا الشيق و يلقوا الشكوك بين جماعتهم وسائر الطوائف

والحاصل ان الملّة المارونية ما زالت تعمل بموجب الطقس القديم في صنع الميرون (وكذا في توزيعه على يد الكهنة) حتّى عاد الى لبنان تلاميذ المدرسة الرومانية

امّا الميرون بحسب عادة الكنيسة الشرقية القديمة فانهُ كان يُركّب من اثني عشر صنفاً كما كتب البطرك شمعون الى لاون العاشر قائلاً:

« نأخذ زيتاً بكراً ستة ارطال. ومسكاً خالصاً اربعة مثاقيل. وطيباً ممسّكاً فاخراً مثقالين. وزعفراناً شعرياً جنوياً عشرة مثاقيل. وسطرخ (ميعة) ثمانية مثاقيل. وسنبل الطيب خمسة عشر مثقالاً. ودارصيني عشرين مثقالاً. وسليخة ثمانية مثاقيل. ومصطكى خمسة عشر مثقالاً. ولباناً ابيض سبعة عشر مثقالاً. ووردًا مصرياً ثمانية عشر مثقالاً. وعِرق الكهنة تسعة مثاقيل. ودهن البلسم ٢١ مثقالاً ». والمراد بهذه الاثني عشر صنفاً الاشارة الى اثمار الروح القدس الاثنتي عشرة بحسب ما ذكرها الرسول لاهل غلاطية. انتهى ملخصاً عن الجزء الرابع من رد الحجج للمؤلف نفسه وقد اتحفني به حضرة الاب الجليل الخوري يوسف المكّرم النائب الاسقفي في بيروت

كيف يَضُرُ السِمان

للدكتور فيلب افندي بركات

قرأ صديق لي سمين حقيقةً طبيةً زدتهُ بها تأكيدًا وهي: « اكثر السِمان الضخام الاجسام النَّهِمين في تناول الطعام يموتون فجأَةً » فخاف وسألني تعليل ذلك فأجبتهُ مختصرًا انهُ يصيب الجسم ما تُسمّيهِ الاطباء. الحؤول الدهني فيعجز القلب خصوصاً عن وظيفتهِ القائمة بدفع الدم لسائر الجسم فيموت السمين. قال: وكيف اصير ضامرًا. قلتُ: بالعلاج. فعالجتهُ مدَّةً حتى عاد كما اشتهى طاويًا مخصَّرًا شاكرًا معافًى

واليك الآن مقالة كتبتها للسمين ليضعف وللضعيف ليسمن متى عرف كلاهما اسباب السِمن والهُزال. وانَّما على الفريقين استشارة الطبيب ما أمكن لحكمتهُ مفضَّلة وهي تهدي سواء السبيل

اسباب السِمن

اكثرها ناتج عن امزجة الانسان فمنها المزاج الدَمَوي الذي يعيق التغذية الجسميَّة. وهذه علامات صاحبه في حالة الصحة الصلع العاجل والوجه الاحمر والعرَق الغزير والقابلية الجيدة للطعام. وفي حالة المرض تعرّضهُ طفلًا للامراض الجلديَّة والرشح والخُناق والالتهابات الشعبيَّة ويُصيبهُ يافعًا الرَبو والصُداع والرُعاف وان شبَّ تتَّضح فيهِ الامراض المذكورة ويزيد فيهِ التعرُّض لداء المفاصل والحصى والبول السكَّريّ والبواسير والحِكَّة وقبض البطن واذا شاخ اصبح مستعدًّا للموت من امراضٍ عضويّة عضَّالة ناتجة عن تصلُّب الاقنية الدمويَّة

ومن اسباب السِمَن الوراثة الابويّة او العائليَّة والنَّهَم في تناول الطعام والاعتماد على الدهني والسكَّري منهُ وعسر الهضم وشرب البيرة والكحول وكثرة النوم والقعود وقلَّة المشي والحركة والفقر الدموي والانتقال الفجائي من الشغل المفرط الى البطالة. والنساء يَسمَنَّ بعد الولادة وانقطاع الطمث. وكل الاسباب المذكورة آنفًا تكثر الدهن وتمنع تأكسُدَهُ فيبقى في الجسم ويُخزن في كريَّات نسيجهِ واذا لم تُكثِر الدهن فانها تضعِف قوّة التأكسُد فينتج عن ذلك اكتناز الدهن وربما اجتمع السببان معاً فيتفاقم الدهن وتميل الانسجة اليهِ وتتحوَّل بعض الابنية الى مادَّتهِ كما يحصل في الحؤول الدهني في القلب والشرايين. وهذا

يعرض للامراض المختلفة لان القلب والاوعية الدموية والدماغية خصوصاً تفقد قوتها العضلية وتصبح عرضة للانفجار وحصول السكتة المخية والقلبية وبالتالي الموت الفجائي وقانا الله منهُ

العلاج

يقسم العلاج الى صحي ودوائي وعلى الاول الاعتماد الاكبر وفيه وصايا . منها :

١ً تقليل الطعام الدهني ما امكن وان اوجب الحال لمادته فيجب تسهيل تأكسده اي احراقه بالحركة

٢ً تقليل الشرب والمشروبات والمأكولات السائلة كالحساء (الشوربة) والحليب والشاي الخ

٣ً اخذ المسهلات الخفيفة بعض الاحيان

٤ً كثرة المشي والحركة . انما في هذه الوصية وفي تقليل المشروبات نظرٌ يحكم فيهِ الطبيب عند الحاجة بعض الراحة لمن كان مسناً او مصاباً بمرض تصلب الشريانات

٥ً ان اكل الاثمار المحتوية على الحوامض النباتية كالاجاص والتفاح والبرتقال ممدوح في تضمير السمين بسبب البوتاس الذي يهيج حركة فعل الهضم . واكل السلاطة وفيها الخل والشرب من الخل قليلاً مشكور ايضاً للسبب نفسه انما على السمين التروي في ذلك وعدم الافراط . وعليهِ ايضاً ان يتحمم بالماء السخن فانهُ يعرّقهُ ويقلل من دهنهِ وبالتالي يذيبهُ والماء البارد في البحر او غيره نافع ايضاً بسبب الحركة المتوجبة فيهِ ونشاط الشهيّة الذي يعقبهُ

٦ً اما الطبيب فينظر لوظيفة الكبد الذي منهُ تتصرف الادهان فيسهّل لهُ طريقها بالمياه المعدنية المالحة المسهلة وينظر لفعل الهضم ويهيجه ليزيد التأكسد في المواد الدهنية بواسطة القلويات واملاح البوتاس والسودا . ويصف بعدها الحركة والمشي لما يكون السمين صائماً ليحرق ما فيهِ من بقايا الدهن . وقد عيّن (بوشار) الفرنسي كميّة الاكل للسمين فاصاب فيها النجاح فانهُ يصف للسمين الاكل في اليوم الواحد اقةً حليب وخمس بيضات فقط وذلك مدة ثلاثة اسابيع ولئلا يصيبهُ اعتقال البطن يصف لهُ بعض المسهلات الخفيفة او الحقن الملينة وقد وزن السمين بعد ثلاثة اسابيع من المعالجة المذكورة فوجد انهُ نقص سبعة كيلوات . اما السبب في النقص المذكور فناتج عن اغتذاء السمين من جسمهِ ولذلك على

للحكيم ان يصف ما ذكرنا للشبان الاقوياء الحديثين في السمن لا للمسنين ذوي الجسم الرخو

الملاج الدوائي

لا ثقة تامة في مفعوله انما قد جرّب الاطبّاء القلويات لانها تهيّج فعل الهضم وبالتالي تحرق المواد الدهنية المخزونة في النسيج الخلوي انما كثرة استعمالها تصبح عادةً مضرّة او لا غنى عنها او تصاب بالكلل في مفعولها . وقد امتحن غيرهم اليودور وقال بعض النجاح لانّ من مفعوله تحويل المواد المُغذية لكنّ كثيرًا من المرضى لا يطيقون استعماله رغمًا عن منافعه وربّما اصاب بعضهم الزكام او النزلات الصدرية او البقع الجلدية . وقد استكشف منهُ بعض السمان لانهُ يوصف ايضًا للمصابين بالداء الزهري

وقد يوصف منقوع او شراب بعض الحشائش البحرية ولا اعلم طبيبًا افاد عن نتائج العلاج بها فنشر تقريرًا يعوّل عليه

إمّا تنقية الجسم بالمسهلات المالحة فواسطة حسنة ذكرناها . انما نوصي بالاعتدال لمن اتّبعها خوفًا من بعدها وغير اضرار لا يسعنا المقام لذكرها . والجبّار الهندي نبات نافع لانهُ يعرّق ويدرّ البول فيخفّف من ثقل الجسم لكنّهُ يضعف القوى

وقد اهتمّ الافرنج بعلاج التضمير بالمجاري الكهربائية وأعلنت جرائدهم عن ادوية مجهولة مقاومة للسمن منها دواء روسّل فهو مشهود لهُ بجودة المنفعة من مهرة الاطبّاء وبجرّب من كثيرين فلا بأس من تجربته .

امّا المياه المعدنية فوسائط نافعة وقوية جدًّا انما لا يرسل الطبيب لتلك المياه مَن كان فيه مرض او خلل في وظائف القلب وانّا ننصح السمان ذوي اليسار السفر لاوربّة فتهزل اجسامهم (وان هزلت اكياسهم) ومن المياه المشهورة كارلسباد (Carlsbad) وماريناد (Marienbad) في النمسة . وفي فرنسة اشتهرت مياه كثيرة منها مياه ڤيشي (Vichy) وشاتيل كويون (Chatel-Guyon) . وفي فلسطين مياه البحر الميت إشهر من ان تذكر وتقبل جميع المياه المذكورة بأملاحها او درجة حرارتها او جودة هواء ينبوعها وفيها من المواد ما يسهل ويدرّ البول ويعرّق وهذا جلّ المقصود في معالجة السمين

هذا وإن شئتَ الآن ايها المضرّ المخصّر ان تكون سمينًا فاجرِ بعكس ما اوصينا بهِ للسمين فتنال ما انت راغب فيه بإذن الله . انما في كل ما ذكرنا حكمة الطبيب منفضلة واياك والتناهي لانّ حبّ التناهي غلطٌ خيرُ الامور الوسطُ

نظرٌ في ترقّي العلوم

في الربع الأوّل من السنة الجارية

للاب غدفريد زُموفن اليسوعي مدرّس الطبيعيّات في كليّة القديس يوسف

١ علم الهيئة

١ (خسوف القمر) قد خُسف القمر في عشاء اليوم السابع من كانون الثاني وكان الخسوف جزئيًّا ضعيفًا لم يُخفِ من جرم القمر الّا نحو سُبعهِ. ولم يجرِ في اثناء ذلك شيء جدير بالذكر

٢ (كسوف الشمس) في ضُحى اليوم ٢٢ من كانون الثاني كُسفت الشمس كسوفًا تامًّا في الهند وجزئيًّا في الصين وافريقية. وكانت أرسلت الى الهند بعثةٌ علميَّة لمراقبة هذه الظاهرة الفلكيَّة. وكانت السماء صافية الاديم في اغلب المنازل التي رصد بها العلماء. وقد عادوا الآن الى اوربَّة واخذوا في مراجعة اعمالهم وتحقيق أقيستهم ولا يلبثون ان يعرضوها على بعضها للمناظرة والتحرّي ثمَّ يشهرون نتائجها في المجلاّت العلميَّة. ولا ريب انَّ هذه الرصود المتعدّدة تؤدي الى اكتشافات مُهمَّة عمَّا لا يزال غامضًا من امور الشمس وتركيبها العجيب. ومما يُخبرون انَّ الطيور في ساعة الكسوف اخذت تتردَّد في الاغصان كما تفعل عند العشاء. مع انَّ ظلَّ القمر على الارض كان خفيفًا بسبب صفاء الجوّ. ولم يؤثّر الكسوف في ميزان الهواء تأثيرًا يُذكر. امَّا ميزان الحرارة فكان صعودهُ أبطأ من جري العادة الى ساعة تمام الكسوف ثم هبط وشكا نحو ثلاثة سنتيمترات ولعلَّ هذا الهبوط كان سببهُ الريح لا كسوف الشمس. وكان ميزان آخر قد جُعل في الشمس لقياس حرارة اشعَّتها فتأثَّر تأثرًا عظيمًا ولم يزل يتصاعد الى بعد إبتداء الكسوف فاخذ من ثمَّ يهبط بسرعة نامية الى بعد تمامهِ

٣ (سيَّارات جديدة) قد اكتشف العلاَّمة الفلكي شارلوَة ثلاث سيَّارات جديدة من الصغار اثنتان منها بحجم السيَّارات التي تُعدّ من الكبر الثاني عشر امَّا الثالثة فهي من ذوات الكبر الثالث عشر. فيبلغ بذلك عدد السيَّارات الدائرة بين فلكيّ المرّيخ والمشتري ٤٣٢ سيّارة

٤ (محور المرّيخ) كان يرتئي الفلكيُّون انَّ ما يُشاهد بالمجهر من الكلف في جرم

المرّيخ انّما هي أحواض وحة او بحور . وقد عاكس مؤخّرًا هذا الرأيَ بعضُ العلماء منهم فيلبيس احد معلّمي كلّيّة أكسفُرد والعلّامان شياپارلي وتّلور . وسبب مخالفتهم للزعم القديم انّ بحور المرّيخ لو وُجدت لَعكست نور الشمس الى الارض وتمكّنّا هكذا من رؤيتها كنجم من نجوم الكبر الثالث . ولا يصدّ اضطراب هذه البحور من نظرها ولو ضعّف نورها قليلًا . فلمّا لم نرَ ضوء الشمس معكوسًا اقتضى عدم وجود هذه البحور

٢ علم الآثار الجويّة

١ (إعصار في اميركة) قد اصاب مدينة « بُرت سميث » من اعمال الأركنساس اعصار هائل حلَّ بها على غفلة في ليلة الحادي عشر الى الثاني عشر من كانون الثاني . فبعد ان خرب الزعزاع قسمًا كبيرًا من المدينة اخذ يسير الى الشرق مثيرًا في قلوب الاهلين الرُعب والهلع ومُجتاحًا لكلّ العمائر . وهطلت في اثناء ذلك الامطار مدرارةً على بُرت سميث فزادت القومَ خوفًا فخرجوا من ديارهم عُراة متسكّعين في الظلام لينجوا من تداعي الجدران

٢ (الجدب في اوربّة) بُليت اوربّة الغربيّة لا سيما سويسرة وبلجكة منذ الخريف الى شهر كانون الثاني بجدب عظيم لم يُعهد له مثيل . وكانت كمّيّة المياه الهاطلة اقلّ من السنين السابقة بكثير وقد تناقصت لذلك مجاري الانهار وهبط سطح مياه البحيرات

٣ (الامطار في روسية) وبعكس ذلك قد همت الامطار في روسية وانصبّت عليها انصبابًا وقد بلغت كمّيّة المياه في يوم واحد في جهة الجنوب الغربي ٥ سنتمترًا بل اناقت على ذلك . وفي بعض المحطّات صعد ميزان المطر في الدقيقة الواحدة ملمترًا و ٩ اجزاء الملمتر . وذلك من غرائب الوقائع في روسية

٤ (منطاد السَبْر) كان الطبيعيّون قبلًا لرصد الآثار الجويّة يركبون المناطيد فيحلّقون في الطبقات العليا من الجوّ ومعهم الآلات اللازمة لذلك . لكنّ الانسان لا يستطيع ان يتجاوز علوّ ثمانية الى عشرة كيلومترات دون ان يخاطر بحياته لتخلّل الهواء . امّا اليوم فقد حول العلماء رصد هذه الطبقات المرتفعة بواسطة مناطيد للسَبْر (ballons-sonds) وهي مناطيد خالية من الركّاب تُنفخ بغاز الهيدروجين وتُلقى في الجوّ فتتصاعد من نفسها وهي خفيفة ومقاديرها اقلّ من المناطيد العاديّة بكثير فيمكنها ان ترتفع الى ١٨ او ٢٠ كيلومترًا

وفي اسفل المنطاد تُجعل قُبَّة من قضبان الصفصاف المتخللة تحتوي آلات الرصد الراقة وهي موازين الثقل والحرارة والتبخير وكلّها في جهاز واحد من الالومينيوم لا يتجاوز ثقلها ١٢٠٠ غراماً ومعها حُقَّة تنفتح وتنغلق من ذاتها وغايتها استجلاب كمّية من الهواء الاعلى لتحليله وهذه الحقّة تسع خمسة او ستة ليترات يُفرَغ منها الهواء بالآلة المفرِغة. فاذا بلغ المنطاد معظم ارتفاعه انفتحت الحقّة هُنيهة ثم تنطبق على ما دخلها من هواء هذه الطبقة. ثمّ يُلقى هذا المنطاد مع ما فيه من الأدوات المحكمة الوضع المُثبَتة في مراكزها لئلا يصيبها اذًى عندما يحطّ المنطاد على الحضيض وقد جُعل في القبّة كتاب يُنبئ على اسم صاحب المنطاد ومحلّه مع الاعلامات اللازمة لتبليغ الخبر اليه

وكان مُلقي هذا المنطاد لاوّل دفعة المسيو هرميت من باريس في ٥ آب سنة ١٨٩٦ الساعة ١١ صباحاً. فورد عند المساء نبأ تلغرافي من المانية يُعلم بانّ المركبة الهوائية سقطت في مكان يبعد ٣٠ كيلومترًا عن كولونية. فجدّ مسيو هرميت في طلبه فوجده سالمًا وكان المنطاد ارتفع ١٣٧٤٠ مترًا فوق سطح الارض. وكان ميزان الحرارة متساقطًا الى درجة ٥٠ تحت الصفر.

ثم أُلقي المنطاد ثانيةً فبلغ علوّ ١٥٠٠٠ مترًا ونزل في مقاطعة سوم (فرنسة). وكانت درجة ميزان الحرارة ٦٠ تحت الصفر. ولم تزل مذ ذاك تتجدّد الاختبارات من عواصم مختلفة في اوربَّة فأدّت الى نتائج حسنة

٣ الطبيعيات

١ (تلغراف جديد بدون اسلاك) تذكَّر الطبيعيّ (slaby) سلابي الاختبارات للبحث عن تلغراف جديد بدون سلك غير الذي ذكرناهُ (ص ٧ من المشرق) وذلك في مكتب الدروس العليا في شرلُتنبُرغ. فادّت الامتحانات صاحبَها الى هذه النتيجة وهي انَّ المسافة التي يقطعها الصوت تناسب طول سلكٍ يُمدّ عموديًا في الهواء. فاذا كان الهواء صافيًا كما في ساحل البحر يلزم سلكٌ عموديٌّ طولهُ متر يجري فيه المجرى الثاوي لقطع مسافة خمسمائة متر. امَّا اذا كان الهواء غير صافٍ كما في اواسط البرّ فمترٌ من المجرى الثانويّ لا يقطع الاّ ٢٥٠ مترًا. وعليه اذا اراد احدٌ ان يرسل تلغرافًا من دوئو الى كاليه يقتضي سلكٌ ممدود عموديًّا طولهُ ٨٠ مترًا

لكنَّ هذا التلغراف لا يمكن استعمالهُ في زمن الحرب لانَّ العدوّ اذا اتَّخذ آلة مُستقِعة

(radiateur) امكنهُ ان يبلبل الخابرة فلا يُفهم منها شيء . اما المجريون فيكنهم استعمال مناطيد مثبتة تمكنهم من التباحث في مسافة بعيدة

٢ (التصوير الفوتغرافي بلا نور) لاحظ المسيو روسل ان التوتيا والمغنيسيوم والكدميوم والالومينيوم والزئبق اذا وُضع بازائها في الظلمة التامة صفيحة متهيئة للتصوير تؤثر فيها هذه الاجسام تأثيرًا يخالف تأثير الذهب والحديد والنحاس ولا يتوقف هذا التأثير على المماسة لانهم وجدوا ان سطحًا متساويًا من التوتيا ذا صورة محفورة يمثّل بنوع جلي تلك الصورة في الصفيحة الفوتغرافية دون مماستها وذلك حتى لو فُصل بينهما بجليدة من الفوتابركا . والى الآن لم يكتشف سبب هذا الفعل

٤ علم الجيولوجية

١ (مناجم القار) قد وُجدت في مقاطعة أوتة في بلاد المرمون من اعمال الولايات المتحدة مناجم من القار ولم يكُ يُعرَف منهُ في تلك الولايات منابع طبيعية . وكان السكان يلتمسون من جزيرة ترينداد ما يحتاجون اليهِ من هذا المعدن . والقار المكتشف حديثًا كثير الانواع منهُ ما يصلح للرصف ومنهُ نوع آخر صافٍ يليق بجهز الاسلاك الكهربائية ومزج الالوان وتهيئة اللك وانواع الطلاء .

٢ (تركيب جزيرتي ميتلين ولمنوس) تفقد المسيو دي لونة جزيرتي ميتلين ولمنوس في الارخبيل وبحث عن تركيبهما الجيولوجي المجهول الى يومنا . فعرض لجمع العلوم في باريس هيئة حجارة جزيرة ميتلين وما فيها من مستودع الحيوان والنبات المتحجر الراقي الى الطور الثالث من تاريخ الارض

٥ علم الجغرافية

١ (اكتشافات في آسية) قد اهدت جمعية العلوم الجغرافية في باريس نوطًا ذهبيًا للرحالة سفين هدين الاسوجي . فانهُ طاف مدة ثلاث سنوات في البلاد الواسعة الارجاء الممتدة من بلاد پامير الى پكين قاعدة الصين واغلبها مجهول . وجمع هذا السفار في طريقهِ جانبًا كبيرًا من الملاحظات الجزيلة الخطارة لجغرافية الطبيعية وهاك نتيجة سفره

فاوّل ما وُجد هذا الهمام ان البلاد التي اجتازها ليست كلها قفارًا كما زعم الكتبة قبلهُ فانهُ رأى في طريقهِ قرى صغيرة ومزارع . ثم تحقق وجود جبال لم يكد يذكرها

من سبقهُ من العلماء الى تلك البلاد ألا وهو طَوْد مازرتاغ وقد وجد الرحالة بعدين المذكور ان الجبل ينقسم الى قسمين يتوسّط بينهما بحيرة كبيرة .

ثم عاد الى شرقيّ تلك البلاد بعد ان قضى فصل الشتاء في سنة ١٨٩٦ في مدينة خاتان . فاكتشف أخربة مدنٍ كثيرة قديمة سحبت عليها الرمال اذيالها فغطّتها ورأى فيما رأى نقوشًا غريبة الشكل وكتبًا خطّية وابنيةً بخشب الحور يضمُّ الالواح ملاط صلبٌ جدًّا وفي آخر الامر اثبت موقع مدينة لوبنار وكان كثر الخصام بين العلماء في حقها

٢ (رحلة الى مجاهل اوسترالية) قد تيسّر للرحالة كرنجي ان يتوغّل في اواسط اوسترالية . فسافر من كولغردي في ٩ تموز سنة ١٨٩٦ يصحبهُ ثلاثة اشخاص وتسعة جمال تحمل لهُ زادًا لخمسة اشهر فتوصّل الى صحارٍ لم يكد يجد فيها نباتًا فبقي الجمال بلا ماء ١٣٠ يومًا ونصف . فلقي في رحلته قبائل بادية تقتات من جُرذان وضباب يحترشونها من اجحارها بحرق دَغَل الاشواك التي تأوي اليها . واذا ما افنوا هذه الدويبّات في مكان انتقلوا الى غيره . ولا آبار هناك الّا في النادر واكثرها ناشفة . امّا الاهاون فهم شديدو السواد يتغفّرون بمزيج من الدهن والرماد . وهم قصار القامة قبيحو المنظر لا يستر عُرْيَهم ثوبٌ البتّة . وليس لهم ديار او قرًى يبيتون فيها وانّما يسكنون في وهاد او مغاور . بيد انهم ليسوا بشرسي الاخلاق وقد اخذ منهم العجب لدى نظرهم الجمال . وادّت نتيجة هذه الرحلة الى العلم الاكيد بأن الصحاري الواقعة بين كِنبرلي وكولغردي لا تصلح للسُّكنى والزراعة

٦ علم الصنائع

١ (البترول في الآلات البخاريّة) اخذ استعمال البترل بدلًا عن الفحم الحجري يتسع نطاقهُ . وقد بلغ ما أُنفق منهُ في سويسرة سنة ١٨٩٤ لهذه الغاية ٦٠١,٨٠٠ طنًّا . وما ذلك الّا لما في هذا المائع من شدّة الحرارة مع عدم التدخين والسناج . واذا قابلنا حرارة البترول مع حرارة الفحم الانكليزي وجدنا في تساوي الاحوال ان بخار مئة كيلوغرام ناتجًا عن راسب البترول يوازي ما تُنشئهُ منهُ ١٣٩ كيلوغراماً من الفحم . وقد اتّخذ اصحاب خطّ السكّة الحديدية المعروف باسم (Great Eastern Railway) ٣٧ قطارًا بخاريًّا مجهّزًا لايقاد الفحم الحجري والبترول معًا

٢ (تجميد البترول) قد جمّد الكيماويّ كوهلِنْدَرْفر البترول على الطريقة الآتية فانهُ أسخن بمعزل عن الهواء او بواسطة بخارٍ بولغ في حرارتهِ عشرةَ اقسام غسل السُّودا

وعشرة اقسام مادّةٍ دهنيّة كالشحم او زيت النخل وما شاكل ثمّ اضاف اليها ثمانين قسمًا من البترول فاغلاها مدّة ساعة وهي في درجة دون درجة فَوَران البترول. فاذا برد المزيج صار شبيه الشحم الجامد ويمكن الحصول على موادّ يدخلها تسعون قسمًا في المائة من الوَقود فاذا اشتعلت لا يبقى من الرواسب الفاضلة سوى خمسة اقسام في المائة

كتاب
تاريخ بيروت

لمحمّد بن صالح (تابع لما سبق)

ومن الحوادث ما جرى في سنة ستّ وثمانمائة (١٤٠٤م) فكان متملّك قبرس قصد ان يسترجع الماغوصة من الجنويّة. فبلغ الجنويّة ذلك فجهّزوا عمارةً ليأخذوا منهُ قبرس فاصلح (١٥^٢) الروادسة (١ بينهُ وبينهم على حكم ان يقوم لهم بمائة وعشرين الف دينار في نظير كلفتهم على التعميرة فتوجهت التعميرة المذكورة الى العلايا (٢ فلم يقدروا عليها فتوجهت منها الى طرابلس وبها الأمير دَمَرْدَاش (٣ نائبًا. فنزل الفرنج الى البرّ لكنّ المسلمين تكاثروا عليهم ومنعوهم الوصول الى المدينة فرجعوا الى مراكبهم مخذولين بالخيبة

ثمّ حضروا الى بيروت في العشرين من محرّم سنة ستّ وثمانماية فلمّا رآهم اهل بيروت همّوا بترحيل حريمهم واولادهم وامتعتهم فأُخليت بيروت من اهلها ولم يكن بها متولٍّ ولا عسكر مجرد لحرب سوى امراء الغرب ومعهم بعض جماعة. وكان قد توحّش خاطرهم لظنّهم انّ في التعميرة خيولًا فخافوا من ذلك. فنزل الفرنج من الشواني الى البرّ في مكان يسمّى الصنبطيّة غربي البلد في الرابعة من النهار وتملكوا البلد ونهبوهُ واحرقوا الدار التي لنا على البحر والسوق القريبة من الميناء. وصار المسلمون يتجمعون شيئًا فشيئًا وجعل اصحاب النخوات يهجمون على من تفرَّد منهم في الازقّة فقتلوا منهم جماعةً واستشهد من المسلمين

١) يريد بالروادسة فرسان رودس

٢) العَلايا تخفيف العلائيّة وهي مدينة حديثة على ساحل بحر الروم جنوبي انطاليا (Adalia) بناها علاء الدين احد ملوك السلجوقيين

٣) هو دَمَرْدَاش المحمودي كان نائبًا على طرابلس من قبل الملوك الشراكسة المصريين ثمّ ولي نيابة سلطنة حلب سنة ٨٠٧ (١٤٠٥م) وتقلّب في عدّة مراتب وتوفي نحو سنة ٨٢٠ (١٤١٧م)

ثلاثة دفعٍ . وحضر المتولّي الامير يوسف التركماني الكسرواني (١ فاقام الفرنج في بيروت الى قرب العصر ثمَّ رجعوا الى مراكبهم . وتتبَّع المسلمون بقيَّتهم

وفي تلك الليلة توجَّهوا الى صيداء وتوجهنا قبالتهم في البرّ فلما قربوا من صيداء على مسافة دون (16) ميلٍ من البلد نزلوا الى البرّ . وكان قد اجتمع على صيداء العُشران (٢ وغيرهم ولم تجسر الفرنج على الدخول الى البلد . وكان مالك الامراء شيخ الخاصكي الملقَّب في سلطنتهِ بالملك المؤيد (٣ قد خرج من دمشق يدور في البقاع وبعلبك فبلغهُ ح ول الفرنج على طرابلس فتوجَّه اليها فلم يلحق الفرنج فحضر الى بيروت بعد فوات الامر . فلم يتلبَّث ببيروت ووصل الى صيداء بجماعةٍ قلائل والناس يلحقونهُ تباعًا . فادرك الفرنج في البرّ بظاهر صيداء وهجم عليهم ونحن معهُ حتّى كاد يختلط بهم ورموا علينا بالجروخ (٤ وانجرح فرس الخاصكي في موضعين وجُرح بعض جماعة من المسلمين فرجعوا عنهم . ثمَّ طلع الفرنج الى مراكبهم وتأخرت عن الشطّ الى الجزيرة بميناء صيداء . وبات ملك الامراء والمسلمون قبالتهم ورسم ملك الامراء على امراء الغرب ان يكونوا حرَّاسًا على شاطئ البحر بالقرب منهُ فاصبح المسلمون والفرنج على الجزيرة وملك الامراء يظنُّ انهم ينزلون ثانيًا وتهيَّأ لحربهم واحضر ابوابًا كثيرة تكونُ عوضًا عن الزحَّافات والستائر للزحف عليهم عند نزولهم فلم ينزلوا

ثم بعد ذلك اليوم توجَّهوا راجعين الى جهة بيروت قاصدين نهر الكلب ليملأوا منهُ ماء . وعيَّن ملكُ الامراء الامير الكبير سودون الظريف (٥ ليتوجَّه قبالة التعميرة ومعهُ امراء الغرب فوجدوا التعميرة متوجّهة الى جهة بلادهم وكانت مؤلّفة من ستة واربعين مركبًا منها شواني كبار وصغار تبلغ سبعة وثلاثين شَوْنة والبقيّة مراكب (16) . وقيل انَّهُ كان معهم سفن كبار فيها سبعمائة فرس فانفردت السفن المذكورة عنهم في الطريق الى جهة الاسكندريّة . ثمَّ رجعوا من قرب الاسكندريّة الى بلادهم ولم ينزلوا الى برّ

ومن جملة ما نهبهُ الجنويّة المذكورون من بيروت حواصل يُهار لفرنج البنادقة بقيمة

١) لم نطَّلع على شيء من اخباره ٢) راجع ص ٢٧٨

٣) هو شيخ المحمودي الظاهري كان من اكبر الامراء في ايام السلطان فَرَج زين الدين ثم اتفق مع الخليفة المستعين بالله العباسي على خلعهِ فخُلع وقُتل ثمَّ ثار شيخ المحمودي على المستعين فخلعهُ وتولّى السلطنة وحدهُ وتلقب بالملك المؤيد . توفي سنة ٨٢٤ هـ (١٤٢١م)

٤) راجع حواشي ص ٢٧٨ ٥) لم نرَ لهُ ذكرًا في غير هذا التاريخ

عشرة آلاف دينار . فبلغ البنادقة ذلك واقتضوا من الجنوية نظيرهــا وازيد. وكان ملك الامراء قد رسم لمتولي بيروت ان يقطع رؤوس قتلى الفرنج وان يسمّر على ابدانهم مسطبةً على باب بيروت ويكتب عليها اسم ملك الامراء. وجهز الرؤوس الى دمشق ثمَّ الى مصر فحصل في انفس الذين قتلوا الفرنج غيرةٌ لنسبة المسطبة الى غيرهم فهدموها ليلًا واحرقوا ما كان بها من رِمَم الفرنج

فصل في ذكر قواعد بيروت

لما كان الفرنج مستولين على بيروت كانت جماعة المسلمين قليلة ولا جامع لهم فلمَّا قدّر الله بنزعها من يد الفرنج استقرَّت كنيستهم جامعًا وكانت تُعرَف عندهم بكنيسة مار يُحنَّا (١ وكان بها صور فطلاها المسلمون بالطين وبقي الطين الى ايَّام الجدّ (٢ فبيَّضهُ وازال عنهُ آثار تلك الصور. وكان المسلمون يجتمعون لصلاة الجمعة فلم يكملوا في بعض الاوقات اربعين شخصًا فيصلّي بهم الخطيب ظُهرًا (٣ وفي بعض الاوقـات كانوا يبلغون الاربعين بمن حضرهم من الضواحي فيصلّي بهم جمعةً. ثمَّ تكاثرت المسلمون بها جعلها الله دار سلام وايمان الى (17") يوم الدين

ثمَّ بعد ذلك صارت بعض مراكب الفرنج تتردَّد اليهـا بالمتاجر قليلًا قليلًا. وكانت مراكب البنادقة تحضر الى قبرس وصاحب قبرس يرسل بضائعهم في شونتَين كانتا لهُ الى بيروت نقلةً بعد اخرى. وكان للقبارسة كُنُس ببيروت وجماعة من التجَّار يسكنون فيها ولهم خانات وحمَّامات. ثمَّ بطل ذلك وتكاثر حضور مراكب طوائف الفرنج. وكانت ضرائب الواردات والصادرات تؤخذ ببيروت وهي تبلغ جملةً مستكثرة. وكان على باب المينا دواوين وعامل وناظر ومشارف (٤ وشادّ (٥ يوليهم نائب دمشق. والمتوفّر عن المرتَّبات يُحمل الى دمشق

١) ولا يزال مكتوبًا عند مدخل الباب الشرقيّ باليونانية: φωνὴ Κυρίου ἐπὶ τῶν ὑδάτων صوت الرب على المياه (سفر المزامير ٢٨: ٣)

٢) يريد المؤلف جدَّهُ وسيأتي ذكرهُ

٣) في الاصل « ظُهرًا » ونظنّ ان المراد هنا صلاة الظهر

٤) ويقال المُشرِف. وكانت رُتبة المُشْرِف من مناصب الدولة العليـا في ايَّام السلاطين المماليك. قال النويري في ترجمة السلطان بيبرس: ومُشْرِف الممالك مرتبتهُ دون الوزارة

٥) الشادّ ويقال لهُ ايضًا المشِدّ كان يتولّى الدواوين وغيرها من الوظائف في ايام الملوك

وكانت تُعطى وظائف للعمَّال فتحصل جامكيّة (١ المتولّي وجوامك للقاضي والخطيب ولار بمين قَرَا غلام (٢ بخيول وعشرين مُشاة وطَبلخانات (٣ وكوسات وانفرة وزُمُر ومناظرية البحر وزهجيّة (٤ وحَمام بطاقة (٥ مدرَّج الى دمشق وبريد. وقرَّروا ايضاً اعلاماً ناريَّة تصل الى دمشق في ليلة. فكانوا يشعلونها من ظاهر بيروت فتجاوبها نار في رأس بيروت العتيقة. ومنهُ الى جبل بوارش (٦ ومنهُ الى جبل يبوس (٧ ومنهُ الى جبل الصالحية ومنهُ الى قلعة دمشق فكانت النار للحوادث في الليل وحمام البطاق للحوادث في النهار والبريد للاخبار (١٧^٧)

ولمَّا جدَّد الامير يَبْدُمُر نائب الشام سور بيروت على جانب البحر جعل اوَّلهُ من عند الحارة التي لنا على البحر واصلاً الى تحت البرج الصغير العتيق عمارة تَنكِز (٨ نائب الشام المعروف ببرج البعلبكيّة وجعل بين هذا السور وبين البرج المذكور باباً وركّب عليهِ سلسلةً تمنع المراكب الصغار من الدخول والخروج فسُمّي باب السلسلة (ستأتي البقية)

الجراكسة وكان شادٌّ لقصر السلطان ولحوشهِ وكان شادٌّ الاسواق والسلاح والمراكب وغير ذلك من الوظائف المفردة (راجع زبدة كشف الممالك للظاهري ص ١١٥)

١) مرَّ ان الجامكية هي راتب العُمَّال

٢) يريد السُود من الغلمان و « قرا » بالتركية الاسود

٣) كانت امارة الطبلخاناة من الرتب العسكرية لضرب الآلات. قال خليل الظاهري في كتاب كشف الممالك: وكانت عدَّة الطبلخاناة التي تدقُّ على باب السلطان تتألَّف من اربعين حملاً من الكُوسات (وهي الطبول الصغار) واربعة طبول دهول (كذا) واربعة زُمور (وهي الزمَّارة) وعشرين نفير (والنفير البوق) وكان عليها مهتارٌ بخدمتهِ مماليك كثيرون

٤) لا نعلم ما كان من امر هذه الرتبة

٥) هو الحمام السيَّار لنقل الاخبار

٦) احد فروع جبل لبنان (راجع ص ٢١٢ من كتاب اخبار الاعيان في جبل لبنان)

٧) قال ياقوت « هو جبل بالشام بوادي التَّيم من دمشق » وسمَّاهُ في كتاب اخبار الاعيان « يبرس »

٨) هو الامير سيف الدين ابو سعيد تنكز احد مماليك الملك الاشرف خليل بن قلاوون ولَّاهُ الملك الناصر نيابة دمشق سنة ٧١٢ (١٣١٢م) ولهُ آثار جليلة وبنايات بدمشق والقدس وصفد. ثمَّ تغيَّر عليهِ السلطان عماد الدين اسماعيل بن الناصر فقبض عليهِ وقتلهُ في الاسكندرية سنة ٧٤٤ (١٣٤٣ م)

خريدة لبنان

(للاب هنري لامنس اليسوعيّ)

(تابع لما قبل)

١٣

وكان الشابّان يتنقلان بين الجموع فيُراقبان حركات الافراح ويسمعان الاغانيّ المطربة ولمّا دنا الموكب القادم من بيت حنّا الطويل بادرا الى أكمة هناك يشرفان منها على الصفوف فلا يفوتهما من المشهد شي٠

واوّل ما لاح لاعينهما عشرون ابنة بين السادسة والعاشرة من العمر متّشحات بالحلل البيضاء وعلى رؤُوسهنّ اكاليل الورد وفي ايديهنّ طاقات الزهور وعلى ثغورهنّ ابتسامات الصبا

فاخذ المشهدُ من اصغر الشابّين كلَّ مأخذ وهاج خاطرهُ فهتف قائلًا: لله ما ابدع ما نراهُ فانّ عيني لم تقع على مثل هذا في المدن العظيمة٠ سقى الله جبال لبنان فكأنّما هي مأوى الجمال والصفاء ورونق الحياة ونضارة الشباب والافراح٠ لعمري ان هذا المنظر اخذ بمجامع لبّي فيا ليتني استصحبتُ آلة التصوير الشمسي لكنت اخذت عن هذا الموكب رسمًا تقرّ بهِ العيون٠ على انّهُ لا يفوتني ولا بدّ ان انظم فيهِ شعرًا يبهج القلوب

ثم ظهرت صفوف صبايا في مقتبل الشباب يرفلنَ في الحلل الملوّنة وتتدفّق الحياة من وجوههنّ النضيرة ماء ونورًا ويعلو جبينهنّ الوضّاح من الحياء اكليل زاهر٠ وبعدهنّ طلعت نساء الضيعة في ثيابٍ تليق بمقامهنّ وفي مقدمتهنّ امرأة الدكاني تختال زهوًا وفي ايديهنّ المزاهر ينثرنَ منها الروائح الزكيّة

ووراء الصفوف حنّا الطويل وانيسة الضريرة تستند الى ذراع خطيبها كانها تاءت بها الافراح بعد ما قاست من اشكال الهوان وانواع الشقاء مدّة خمس وعشرين عامًا٠ وكانت تفوح من ملابسها وهيأتها ارواح الحشمة٠ وعلى صدرها الصليب الفضيّ يلمع دليلًا للافراح كما كان في الضرّاء عربون الرجاء٠

وكان يتبع الخطيبين سركيس الحائك وامرأته واولادها والجميع في الملابس الفاخرة

وقد بلغ الفرحُ منهم مبلغاً . واصغر الاولاد بطرس يمشي مرحاً وينظر نظر السرور الى كل من حواليه

وما اعظم ماكانت دهشة الشابين اذ وقعت عينهما بعد ذلك على رهط من الشيوخ هم من بقايا الزمان الماضي بيض الشعور او صُلع الرؤوس قد احنت ظهورهم الايام فاستعانوا على السير بالعصا او دَبُّوا حتى خُيّل للرائي انهم تطيع يدفعهم الموت الى هاوية القبر . وكان يتقدمهم ابو نصيف ذلك الشيخ الاصمّ الاعمى الذي عرفناهُ في اول القصة يقودهُ جَدّ معلم المدرسة وكل منهما قد انحنى حتى لثم التراب

وهؤلاء الشيوخ وعدهم قد عرفهم حنّا الطويل قبل سفرتهِ وعرفوهُ وشهدوا اعماله واقرّوا بفضل شجاعته ايام كان في ضيعته ينافس اقرانه في اقتحام الاخطار

فدخلت تلك الجموع الكنيسة وقد ضاقت عنهم فبقي الشابّان في الخارج مع من تبقّى . وما لبثا ان سمعا التراتيل على وقع الصنوج والاجراس وزفّ اليهما النسيم نفحات البخور فعلما ان القدّاس الاحتفالي قد بدأ . وبعد تلاوة الانجيل المقدس القى الكاهن عظة ملائمة لمقتضى الحال . وكيف لا يغتنم مثل هذه الفرصة السعيدة وهو الذي عرف حنّا الطويل في حداثته وهو الذي ارشدهُ ودعاه للمنارة الاولى وهو الذي زوّده بركة الابوية ساعة رحيلهِ عن الضيعة منذ خمس وعشرين عاماً . فضلاً عن ان شيخوخة هذا الكاهن الجليلة وفضائلهُ كانت تجعل لكلامه وقعاً عظيماً في النفوس . ولم تكُ عبارتهُ منسجمة لكنها صادرة عن قلب مُفعَم بشمائل التقى والوداد فأثّرت في قلوب السامعين ايَّ تأثير حتى ذرفت اعينهم الدموع ولاسيما تلك الابنة الضريرة فقد انهملت منها العبرات مدرارة عند سماعها ذكر خطيبها واسفاره وعودته سالماً بعد مرّ الفراق وتفانيه في خدمة الله والقريب

وفي الختام استمطر الواعظ بركات السماء على الرجل الفاضل ذي الايادي البيضاء الذي عمّ صنيعهُ كل اهل ضيعته . ومن يصف مشهد الكنيسة في تلك الساعة المهيبة فكنت ترى الجميع جاثين على الارض يضجون بالدعاء الحميم قارعين الصدور ومجاهرين بالصلاة لله ان يطيل بقاء هذا الرجل المحسن ويحفظهُ مع عروسه في رغد ونعيم ليهنأ بهما اهل الضيعة اجمعون . وقد اشترك مع الحضور كلّ من قضي عليهم بالقيام خارج الكنيسة

فصاح اكبر الشابّين وقد اخذتهُ هيبة المشهد : ما ابدع هذا المنظر لعمر الحق ان هذا الشيخ الجليل بلغ في كلامه مبلغاً من البلاغة عظيماً وهو لا يدري . فقد صدق الاقدمون

في قولهم «من اراد فصاحة فحسبه ان يكون لهُ قلبٌ شعُور»

فلم ينتبه رفيقه الى قوله الـديد بل صاح: لا بدَّ لي من الوقوف على جليّة هذه القصة . رضيتَ بذلك ام عذلتني . فقد عقدت النيّة على التعرّف الى حنّا المذكور . فانّ النفس تحدثني بنشر هذه الرواية الرائقة

قال الكبير : ما كنت لاعذلك في ذلك . . . ولكن على رسلك . ها قد فرغ القوم من الصلاة وتراهم خارجين . انظر الحفّار فارس عبُّود والحائك سركيس

١٤

وكانت الجموع قد اصطفّت وعادت الى بيت حنّا من حيث اتت . فدنا الشابّان من الحفّار فارس وسألاهُ ان يقدّم بطاقتهما الى صاحب المنزل فلبّى هذا طلبهما عن طيبة خاطر فأدخلا الى القاعة الخاصّة بالمدعوّين واقبل عليهما ربّ البيت يصافحهما بوداد . فقال لهما: يظهر يا سيدي من البطاقة التي تكرّمتما بها انكما من رجال الادب وارباب الصحافة ولا ريب انكما ترغبان في مقابلتي حصّة على انفراد

فقال كبيرهما : نحن يا سيدي قد اغتنمنا اوقات العطلة لنضرب في نواحي لبنان وقد ساقتنا التقادير الى هذه القرية واسعدنا الحظ ان نشهد يوم نعيمك فجئنا نشترك مع دريك في تقديم اخلص التهاني لك . ومع ذلك فاننا نمنّ لك ان تكرمت علينا بزيادة الايضاح على ما عرفناهُ

فتبسّم حنّا وقال : ادركتُ المقصود . فانكما لا تغفلان حتى في زمن العطلة عن اجتناء الاخبار . ونعمّا تفعلان . وان كان لا بدّ من نشر مقالة في ما شهدتما اليوم فاني ارجو من فضلكما امرًا واحدًا

— مُر فأمرُكَ مطاع وكلّ حاجةٍ مقضيّة

قال حنّا : انّ رجائي ان توقظا القرّاء من سنة الغرور وتستلفتا الابصار وتنبّها الخواطر الى ما وراء المطامع من الخيبة والفشل ووراء الاسفار في طلب المعادن من الاخطار . اجل ان الله وفّقني فتمكنت من احراز نصيبٍ من المال وافر . فالناس ينظرون بعظاهر ما يرون ويتعامون عمّا تكبدت في سبيل ما جمعتهُ . والله اعلم بما قاسيت من المتاعب والاكدار والاهوال حتى زهقت الروح قبل الحصول على النزر اليسير

هذا وقد خطر على بال حنّا شقاؤه الماضي فصاح : آه ما اتعس مثل هذه الحياة . فانّ

الرجل يقضي عليه ان يتجرّد نوعاً ما من حرّيته فيأجر ذاتهُ للغير ويطاطئ رأسهُ ويحني ظهره تحت الاثقال ويقف بالابواب متسوّلًا ويسوم نفسهُ ذلاً فوق ذلّ صابرًا على قرس البرد ولفح الحرّ معرّضاً روحهُ لانواع المخاوف والاخطار. وما كنت لاعود الى مثل تلك الحال ولو أعطيت مال قارون فاني يشهد الحقّ لولا عون الله ينصرني ونور الامل ينعشني لمتّ كمدًا او قتلت نفسي يأساً. وطالما سألت الله ان يمنّ عليّ بالرجوع الى بلادي ولو كان قوتي الخبز والزيتون فاقضي العمر سعيدًا في قريتي واعيش حرًّا على جبال لبنان الجميلة تحت سمائهِ البديعة

ثم أشعل لفافةً من التبغ واردف حديثه بقولهِ: لقد مرّ الآن بخاطري ذكر حادث لا يسعني الّا ان اروية لكما فتكرما بالاصغاء

وكان الشابان آذاناً تسمع واعينهما شاخصة الى حنّا ولسان حالهما يرجوه ان لا يبخل عليهما بسرد كل ما لديهِ من الاخبار والتفاصيل فقال: لمّا كنت في اوائل ايّام دخولي الى بلاد الترانسفال لم يكن لي ادنى خبرة باخلاق اهلها. ففي ذات مساء عدت الى منزلي بعد الفراغ من شغلي وكنت يومئذٍ ناظرًا على احد المناجم. وكنتُ أُمرتُ بالذهاب في الغد الى مدينة الرأس لقضاء مهمّة كلّفني بهـا مدير المنجم. ولمّا خلوت في منزلي استولت عليّ عوامل السرور مما احرزتهُ من المال بجدّي واقتصادي. وقوي فيّ الامل ان افوز بثروةٍ طائلة بها ابلغ المنى. فمرّ ببالي ذكر وطني واهلي وخلّاني وطابت نفسي بذكري انيسة

فغصتُ في بحر الاوهام والاماني وفكرت في رجوعي الى لبنان العزيز وبيتٍ ابنيه فيهِ وهدايا أُتحف بها انيسة وعيدٍ اقيمهُ لنا يوم اكليلنا. وبقيت على تلك الحال ابني من الآمال قصورًا شاهقة وقد سها عن بالي ان الليـل قد ارخى جلابيبهُ وليس من نور يضيء في ظلمانه سوى نار سيكارتي

فاذا بالباب يطرق. فصحت بالطارق أن ادخُلْ

فولج زنجيّ ووقف متردّدًا يجيل نظره في اكناف الغرفة كانهُ يخشى رقيباً. ثم همس اليّ قائلًا: كلمة يا سيدي. لان الوقت ضاق بي. ولكن كلمة تتعلق عليها ثروتك وحياتي. انني احد الفعلة المشتغلين في المنجم الخامس. كنت اليوم عائدًا من شغلي فعثرت في طريقي بقطعة من الالماس لا نظير لها عند الملوك. وجدتها بين انقاض منجم مهجور. فهي ملكي ولي حقّ التصرّف بها. ولكن لا سبيل لي الى ان ابيعها في هذه البلاد. لانّ الزنوج الفعلة يتهمونني بانني سرقتها. وكذلك يتعـذّر عليّ ان افرّ هاربًا اذ لا مال عندي وابواب

النجاة مغلقة دوني. فيشق عليَّ ان تبقى قطعة الالماس عندي من غير جدوى. وقد فضَّلت ان ابيعها وانتفع بثمنها. ولمَّا كنت اسمع انك كريم النفس رؤُوف بالزنوج لا تدنيء معاملتهم حملني الامل ان اوافيك واعرض عليك تلك القطعة الفاخرة فتحصل بها على الغنى ولست اسألك لقاءها الَّا ليرةً استرلينية

فما سمعت كلامهُ الَّا اعتراني الذهول وبقيت جامدًا كالصنم. امَّا الزنجيّ فاخذ يقلب بين يديه قطعة الالماس بحجم الجوزة الصغيرة وهي صافية الماء خالصة على زعمهِ ليس فيها حبة رمل

ثم قال: وحقك يا سيدي لقد وقع تحت يدي اكثر من الف قطعة كبيرة ولكنني لم اجد في عمري اصفى منها. فبمثلها تزدان تيجان الملوك. انت يا سيدي من البيض وليس من يتهمك بالسرقة. فان جدتَ عليَّ بالنزر اليسير فزتَ بالمال الكثير حلالاً

١٥

فاغراني امل الربح واعطيت الزنجيَّ كل ما كان عليَّ من الدراهم واخذت منهُ الحجر الكريم وفي الغد سرت في رفقة قاصدين مدينة الرأس ودليلنا رجل من الزنوج

وفي ثاني الايام خرج علينا جماعة من الزولوس فصاح الدليل: لا سبيل للمقاومة يا سيدي فان عفا عنا الاعداء وقنعوا بالمال غنيمة نسلّمهم كل ما معنا. فانَّ ذلك لزهيد

فصحت: كيف زهيد ؟ لا لستُ اسلّم. وفي الحال اطلقت عليهم المسدَّس فجرحت منهم واحدًا وانقضَّ علينا الباقون كالكواسر فقتلوا الدليل وكل رفقائي وقدَّر الله ان بقيتُ حيًّا ولكن مثخنًا بالجراح. فاخذ زعيم الزولوس سلاحي واقتسم رجاله ثيابي وامتعتي ومالي. وقد نزعت امرأةٌ منهم قطعة الالماس وعلّقتها بعنق ولدها ظنًّا منها انها حرز حريز

وما مضى عليَّ في الاسر ايام حتى شفيت من جراحي وعادت اليَّ القوى والنشاط. وقد اختبرتُ بنفسي حينئذٍ ان الصنيع لا يضيع. فانهُ كان بين الزولوس رجل قد اشتغل من ذي قبل مع فعلة المناجم عندنا وكنت احسنت الصنيع اليهِ مرارًا. فهو الذي توسل الى زعيم القوم ليعفو عن حياتي وهو ايضًا الحَّ اليهِ بعد شفاءي ان يُطلق سراحي ويردَّ عليَّ ثيابي وبعض مالي

فطلبت ايضًا قطعة الالماس ولكن المرأة ابت ان تردَّها عليَّ اعتقادًا منها انها تدفع عن ولدها كل اذًى. فاخفيت ما بي واظهرت الجلد. ولمَّا جنَّ الليل خلوت بالولد فسددت

فاه وتوعت الجوهرة منهُ وفرت هاربًا على جناح الريح

وما زلت اصل السيرَ بالسُّرى وعوامل الخوف تتنازعني وانا ابتعد عن الطرق المطروقة ولا اجسر على المعاطاة مع الناس مخافة ان تُسلب مني الجوهرة الثمينة التي كانت في جيبي ويدي عليها دائمًا لا تتخلى عنها . وقد وصلت بعون الله الى مدينة الرأس بعد معاناة المشاق والمخاوف . واولُ ما باشرتهُ اني بعثت برسالة برقية الى جبـل لبنان بواسطة صديق لنا في بيروت وفحوى الرسالة « ابشري يا انيسة فاني عائد اليك بالاموال الطائلة »

ثم سعيت في الوصول الى عميد الجوهريين اسألهُ عمَّا تساوي الجوهرة التي بنيتُ عليها الآمال . وكنت ادخل المخازن لاختار منها تحفًا أُهديها لانيسة واصحابي في لبنان ولم أكن ارضى بغير الاصناف الفاخرة . وطالما تبسَّمتُ استخفافًا عـند ما كنت اسمع التجار يقولون ان الاصناف التي اشير اليها يزيد ثمنها الاضعاف عمَّن سواها

ولم يكن الا ايام قلائل حتى شاع اني من اغنى خلق الله وفي الحال تقاطر اليَّ من كل صوب عدد وافر من ابناء وطني وخلاّني ولم اكُ ادري بوجودهم في تلك الاصقاع قبل ان طارت شهرة غناي . وما اكثر من كان يدعوني حينئذٍ او يعرض عليَّ خدماتهِ

وكثر تحدُّث الناس عن ثروتي قائلين : ما اسعـد هذا السوري فانهُ عاد من مناجم الترانسفال بالقناطير المقنطرة

ولما اتيتُ عميدَ الجوهريين وعرضت عليه قطعة الالماس تأملها وبعد الفحص قال : ما أتقن الصناعة فيها . فلو عرضتها على بائع الحليّ الزجاجية اشتراها بعشرة شلنات امَّا انا فلا اشتري الالماس الكذّاب

ولا حاجة الى وصف ما المَّ بي عنـد ما ثبت لي ان الزنجيّ خدعني وباعني عوض الالماس زجاجًا . والله ادرى بحالي ساعة هبطت من شاهق القصور . . .

وبعد ان قمتُ بالمهمَّة التي كلفوني بهـا عدت عاملًا الى مقرّي الاول في الترانسفال وعاودت اشغال الناظر في المناجم . وكم وكم وجب عليَّ من الكد والسهر وكم وكم تجشَّمت من الاخطار وركبت متون الاهوال حتى احرزت هذا المال الذي لا اجد لهُ قيمة غير اني استخدمهُ لخير وطني وراحة قرينتي

وكان الشابان لا تزال تحدثهما النفس في طلب الاخبار والاستـفسار عن التفاصيـل

الكثيرة ولكنهما اطاعا داعي الادب . فامسكا عن السؤال وشكرا لصاحب البيت ما لاقياهُ لديهِ من الحفاوة والاكرام ثم استأذنا في الانصراف فشيعهما بكل لطف راجياً ان لا يبخلا عليهِ بالزيارة لدى عودتهما من السفر

وما خرجا وخلا لهما الجو الَّا بادر اصغرهما وهو من الشعراء المجيدين فالتقط عن الارض عودين صغيرين فادبر عن رفيقهِ ثم اقبل عليهِ وقد برز من كلٍ من يديهِ طرف عودٍ . وقال : هيَّا احزر

فقال رفيقه : اراك عجولاً في الامر

— لا بدَّ من التعجيل . هيَّا احزر . فنعرف من منَّا يكون صاحب الحق بايراد هذه الرواية

فسحب رفيقهُ احد العودين . فرمى الشاعر العود الثاني وقال متنهدًا : انا الخاسر وانت الرابح

وهذا السبب ايها القارئ اللبيب في انك قرأت رواية انيسة الضريرة نثرًا لا شعرًا . ويا حبذا لو ربح الشاعر لكنت تقرأها في قصيدة عامرة الابيات رقيقة المعاني فتقول : انَّ من الشعر لدرًّا

(تمت)

شتى

اكتشاف كتب خطيَّة في مصر

ورد في جريدة « وسيط الباحثين » ان العالمين غرنفل وهُنت الانكليزيين قد اكتشفا في قرية البهنساء مستودعًا فيهِ مجلاَّت وكتب خطيَّة قديمة باليونانية قد أُودع منها قسمٌ في متحف الجيزة بمصر وأُرسل القسم الآخر الى لندن . وقد اخذ العلماء يتألبون زرافاتٍ الى مكتبة البريتيش موزيوم لمطالعة هذه الكتابات الثمينة . وممَّا وجد بينها الى الآن من المآثر الجليلة الفصل الاوَّل من انجيل القديس متَّى كتب في القرن الثالث للمسيح وفصلان من مجموع اقوال الرب (Λόγια) المنسوب للقديس پاپياس احد الاباء الرسوليين قد كتبا في القرن الثالث عشر . ومن ذلك ايضًا اعمال كثير من خطباء اليونان وشعرائهم كان قسمٌ منها مجهولًا . ولا بدَّ من زمن طويل لقراءة هذه الكتابات لكثرتها . قيل انَّ ما ورد منها عاصمة الانكليز لا يقلُّ عن ٢٨٠ صندوقًا

يسوؤنا اننا نجد بين ابحاث مجلة الهلال الاغرّ ما لا يسعنا السكوت عنهُ لانهُ يمس بعض شعائر الطوائف الكاثوليكيّة. فانّ محرّرهُ الاديب في معرض جوابهِ على من سألهُ (في العدد ١٢ ص ٤٦٠) لماذا لا يكون ميلاد المسيح بدء السنة المسيحيَّة بل يُعيَّد بهِ في ٢٥ دسمبر مع انَّ السنة المسيحية تبتدئ من تاريخ ولادة المسيح قال: «امَّا يوم ميلاد المسيح فقد اختلفوا في تعيينهِ ففي القرنين الاوَّلين كانوا يحتفلون بهِ في بعض ايَّام يناير او ابريل او مايو ثمَّ اجمعت الكنيسة الشرقيَّة على انهُ يوم ٦ يناير امَّا اللاتين فجعلوهُ يوم ٢٥ دسمبر والارمن يحتفلون بعيدي الميلاد والغطاس معًا في يوم ١٨ يناير. امَّا سائر الطوائف فاجمعوا على انهُ يوم ٢٥ دسمبر ولا نعلم مستندهم في ذلك على انَّ قرائن الاحوال تنقضهُ لقد ورد عند ذكر ولادة المسيح في الاناجيل انَّ الرعاة كانوا اذ ذاك يحرسون ماشيتهم ليلًا ما لا يُعقل وقوعهُ في ليالي دسمبر التي هي من اشدّ ايَّام الشتاء بردًا ومطرًا فضلًا عن ادلَّة اخرى لا محلّ لها هنا». ثمّ ارتأى الكاتب ان سبب اتخاذ عيد الميلاد في هذا النهار انَّما كان لمنع النصارى من حضور بعض اعياد الوثنيين ليشغلوهم عن الاحتفال بها

نقول انَّ في هذا الجواب عدَّة اشياء لم يتحرَّ صاحب الهلال البحث عنها فعرضها دون تروٍّ كافٍ. فقولهُ اوَّلًا «انَّ في القرنين الاوَّلين احتفل النصارى بعيد الميلاد في بعض ايَّام يناير او ابريل او مايو» ليس بصحيح. ونعلم انَّ الكنيسة الرومانية اوَّل من احتفل بعيد ميلاد الرب منفردًا عن عيد الغطاس كما شهد بذلك القديس يوحنَّا فم الذهب في عظته القاها في بدء كهنوتهِ سنة ٣٨٦ وفيها يقول «ان كنيسة رومة عندها في ذلك أصدق الاعلامات». ونشهد على هذا ايضًا اقدم الكلندارات. ثانيًا لا صحَّة لقولهِ انَّ الكنيسة الشرقيَّة اجمعت على ان هذا العيد يوم ٦ يناير. والصواب انَّ الكنائس الشرقيَّة قبل القرن الخامس لم تعيِّد عيدًا منفردًا لعيد الميلاد بل كانت تجمع بين عيدَيْ الميلاد والغطاس لان الربّ ظهر للشعوب يوم عمادهِ ثمَّ اقتدت هذه الكنائس بالكنيسة الرومانية فافردت لعيد الميلاد يومًا خصوصيًا هو يوم ٢٥ دسمبر. وبقيت بعض الكنائس على عادتها القديمة منها كنيسة الارمن فانها تحتفل بالعيدين في ٦ يناير (لا في ١٨ يناير كما قال الهلال ما لم يُشر بذلك الى الحساب اليوليّ القديم)

ولم يصب الهلال بتخطئتهِ عادة الطوائف الكاثوليكيَّة على تعييد ميلاد الربّ في

٢٥ دسمبر فانّ ذلك تقليد يرتقي الى بدء النصرانية يشهد له القديس اغناطيوس اسقف انطاكية في القرن الاوّل وكتاب قوانين الرسل في القرن الثاني وبوليوس افريقانوس المؤرخ في الثالث والقديسون اثناسيوس وايرونيموس واوغسطينوس ويوحنا فم الذهب في الرابع. ونعلم انّ قليلين من الاباء كاقليمنس الاسكندري ارتأوا غير ذلك لكنّ رايهم لا يرجح على رأي السابقين. رابعاً ونعجب من اعتراض الهلال المأخوذ من رعي الرعاة لقطعانهم في الفلاة في دسمبر مع ان من له ادنى علم بعوائد بلاد اليهودية لا يستغرب ذلك. وانّنا نعرف رجلًا من بيت لحم سكنها ١٠ سنة رأى القطعان ترعى ليلًا في الفلاة في هذا الفصل من السنة. وشهد بذلك كثيرون من سيّاح الفرنج مثل بروخرد وغيره. وكنّا نودّ ان لا يجل علينا الهلال بالأدلة الاخرى التي ضرب عنها صفحًا لعلّها اقوى من هذا. خامساً لا صحّة لقول الهلال ان عيد الميلاد وُضع في ٢٥ دسمبر منعاً للنصارى من احتفال اعياد وثنية ونحن نعلم انّ النصارى الاوّلين كانوا يستنكفون لعوائد المشركين ويأنفون منها بيد انّ تواريخ الرومان لا تذكر في ٢٥ دسمبر عيدًا خصوصياً لآلهتهم. ل. ش.

أسئلة وأجوبة

س سُئلنا ما هو اصل تسمية العرب ليسوع المسيح باسم عيسى

ج قال بعض النحويين انّ اسم عيسى ويسوع واحد قلب الاوّل عن الثاني بنقل العين الى اوّل الكلمة. وعندنا ان اسم عيسى تحريف اصله من اليهود ارادوا بذلك ان يلمّحوا باسم عيسو تهكّماً. كما انهم دعوا رومة بأدوم بغضاً وحقدًا وذلك هو السبب الذي من جرائه دعا كثيرٌ من مؤرخي العرب الرومانيين باسم بني الاصفر والاصفر ترجمة ادوم. وما يدلّنا على ان اصل كلمة عيسى من عيسو هو ان النصارى لم يستعملوا اسم يسوع على هذه الصورة. امّا انتقال العرب من عيسو الى عيسى فذلك على طريقة التشبّه باسم موسى. وكثيرًا ما تصير هذه الموافقة بين اسماء الاعلام كقولهم هابيل وقابيل (قايين) وجالوت وطالوت (شاول). ولبدل الواو بالالف سبب آخر مبنيّ على قواعد اللغة العبرانية حيث تبدل الواو بالف ممدودة في آخر الالفاظ نحو שלה بدل שלו ومثله عيسو עשו صارت عيسى (١ ه. ل.

---

١) Cfr. Kampffmeyer, alte Namen in heut. Palæstina, Z.D.P.V. XV. p. 107

س سأل ص · ح · عن اصل الخداع الجاري عند بعض الفرنج في اوَّل نيسان وهم يسمُّونهُ سَمَكة نيسان (poisson d'avril)

ج لا يُعلَم بنوعٍ صريح اصل هذا الخداع المزحيّ بين الفرنج وبعض الشرقيين جريًا على عوائدهم · فقيل انَّ فيهِ اشارةً لما لحق المسيح في نيسان من الاهانات وقت آلامهِ لمَّا ارسل من مجلس حانان الى قيافا ثم الى بيلاطوس ثم الى هيرودس · وقيل انَّ في صيد السمك الواقع في نيسان كثيرًا ما يخيب امل الصيَّادين فلا يصطادون شيئًا · وزعم البعض انَّ اصل ذلك يرتقي الى لويس الثالث عشر ملك فرنسة وكان حبس بعضَ الامراء في مدينة نانسي فنجا الامير من حبسهِ وقطع نهر الموز (Meuse) سابحًا فافلت فارسل اهل الامير للملك سمكةً يريدون بذلك انَّهُ تملَّص من يدهِ كالسمكة

هدايا

أُرسل الى ادارة المشرق العدد الاوَّل من مجلَّة الصنائع الاسلامية وهي تطبع في باريس بالتركيَّة والفرنسيَّة وتصدر مرَّةً في الشهر يزينها عدَّة تصاوير من المسكوكات وغيرها

وارسل العدد الاوَّل من مجلَّة الهُدى المطبوعة في فيلادلفيا وتصدر مرَّةً في الاسبوع لمحرّرها الخواجه نعوم مكرزل

واهدتنا مطبعتنا الكاثوليكية نسخةً من مقالة حضرة الاب انطون صالحاني في استعمال الفطير والخمير التي حررها في مجلَّة المشرق فطبعت على حدةٍ وتباع في مطبعتنا بقرشٍ واحدٍ

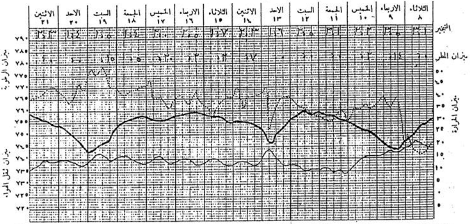
واهدتنا ايضًا نسخةً من كتاب الدارات للاصمعي التي سعى بنشرها الدكتور اوغست هَفنَر في هذه المجلة ثمَّ زيد فيها فوائد وفهرس وطُبعت طبعة منفردة ثمنها ثلاثة قروش

اصلاحات

قد جاء في شرح خطوط الخارطة (في ص ٣٠٤) بعض الابهام فنقول لبيان الامر انَّ الخط المنقَّط (....) يدلُّ على سير الزلازل في ساحل البحر والخطّ المتقطّع (-.-.-) على سيرها في سورية المتوسّطة · امَّا الصلبان والنقط (.x.x.) فتدل على سير الزلازل في البلاد المتوسطة بين الخطَّين السابق ذكرها

وجاء في ص ٢٨٩ س ١٢ : أَخشَن والصواب أَكثَر — وفي ص ٢٩٥ س ٢٠ : Cors والصواب Cours — وفي ص ٣٠٦ س ١٢ : سنة ١٢٠٢ والصواب ١٢٠٤ — وفي ص ٣٠٩ س ٢١ : الديبي والصواب الدويبيّ — وفي ص ٣١٩ س ١٨ : slaby والصواب Slaby

قائمة للآثار الجوّية من ٨ الى ٢١ اذار ١٨٩٨



انّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) – امّا الخطّ المنقّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملمترات